المدرسة الاستشراقية الروسية

د. محمد بن عبد الله العامر (*)

المقدمة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد:

تعتبر المدرسة الاستشراقية الروسية مدرسة استشراقية ذات صوت خافت، وظهور إعلامي قليل ونادر، فكانت مدرسة غير متداول ذكر أعلامها، ولا منشور كثير من إنتاجها، فحاولت في هذا البحث المختصر فتح كوة في جدار هذه المدرسة لكي يشع من خلالها نور يضيء بعض عتمات المعرفة حولها، ويزيح دياجير ظلام خيم على هذه المدرسة ونتاجها وأعلامها، وتزداد الحاجة لذلك بعد رجوع روسيا إلى مسرح الأحداث العالمية، ومحاولة استعادتها أمجادها الماضية كمحور توازن آخر في المسرح العالمي سياسيًّا، وعسكريًّا، واقتصاديًّا، فسعيت في هذه الدراسة إلى محاولة تسليط الضوء على «**مدرسة الاستشراق الروسية**» وذلك من خلال ما يأتي:

* **التمهيد:** وفيه تعريف بالاستشراق.
* **المبحث الأول:** تاريخ المدرسة الاستشراقية الروسية .
* **المبحث الثاني:** مزايا المدرسة الاستشراقية الروسية.
* **المبحث الثالث:** أشهر أعلام المدرسة الاستشراقية الروسية.
* **المبحث الرابع:** جهود المستشرقين الروس العلمية حول التراث الإسلامي. وفيه المطالب التالية:

(*) الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية- كلية العلوم والآداب بمحافظة الرس - جامعة القصيم.

المطلب الأول: التأليف.

المطلب الثاني: الترجمة.

المطلب الثالث: التحقيق والنشر.

المطلب الرابع: جمع المخطوطات وفهرستها.

المطلب الخامس: الرحلات.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

التمهيد

مفهوم الاستشراق

كلمة الاستشراق لم ترد في المعاجم العربية المختلفة، فهي كلمة مولدة من الناحية اللغوية، لكن ذلك لا يمنع من أن يكون لها أصل لغوي مشتقة منه وهو مادة« شرق» يقال: شرقت الشمس شرقاً وشروقاً: إذا طلعت[١].

وليس عدم ورودها في المعاجم اللغوية مما يجعل الباحث لا يستطيع الوصول إلى المعنى الحقيقي لهذه الكلمة استناداً إلى قواعد علم الاشتقاق، فلقد أشار مصدر من المصادر اللغوية الحديثة إلى هذا المصطلح فقال: استشرق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم « مولدة عصرية» يقال لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة[٢].

وهذا الاشتقاق لا يعني أنها كلمة أصيلة في اللغة العربية، بل هي مولدة لذا فإن لفظة «استشراق» ومشتقاتها استعملها المحدثون من ترجمة كلمة «orientalism»، ثم استعملوا من الاسم فعلاً، فقالوا: استشرق، وليس في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي، والمدققون يؤثرون استعمال «علماء

---

(١) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م. (٣١٦/٨)، مادة شرق، والصحاح، إسماعيل الجوهري، القاهرة : دار الكتاب العربي. مصر، ١٩٥٦م، (١٥٠٠/٤-١٥٠١)، مادة شرق، وأساس البلاغة، جار الله الزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود. بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ، ص٤٨، وابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. ١٩٥٠م، (١٠/ ١٧٣-١٧٩)، مادة شرق، ومجد الدين والقاموس المحيط . الفيروزآبادي.. بيروت، دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ. (٢/ ١١٩٠-١١٩١)، مادة شرق، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة، ١٩٦٠م، (٤٨/١). مادة شرق.

(٢) معجم متن اللغة، الشيخ أحمد رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م، (٣١١/٣).

المشرقيات» بدلاً من «مستشرقين...» ، ولكن لفظة «استشرق» و لفظة « مستشرق» قد شاعتا شيوعاً كبيراً ولا بأس من استعمالهما»[1].

المفهوم الاصطلاحي:

الاستشراق من المصطلحات التي لم يتفق الباحثون على تعريف جامع مانع له، فلذلك تتعدد التعريفات بتعدد المعرِّفين، وبحسب الجانب الذي روعي في التعريف، فإعطاء تعريف منضبط للاستشراق تحيط به صعوبات شتى، تجعل التعريف المتفق عليه متعذراً لعدم دقة المصطلح ووضوحه، وسأورد شيئاً من محاولات لتعريف الاستشراق، ليتبين لنا مدى التباين والاختلاف بين المعرِّفين، وكذلك مدى القصور والنقص في هذه التعريفات، وعليه فإن ما سأذكره شاهد على أن الاستشراق لا يوجد له تعريف منضبط دقيق، بل كل ما وجد هي مجرد تعريفات تقرِّب المعنى إلى الذهن، أو هي محاولة لتقريبه، فبعضهم يعرِّف الاستشراق ويراعي جانب المكان، أي الشرق والغرب، فيرى الاستشراق هو علم الشرق، فيقول: « كلمة (استشراق) مشتقة من كلمة (شرق) وكلمة (شرق) تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي»[2]، وهذا التعريف أقرب ما يكون للتعريف اللغوي منه للتعريف الاصطلاحي؛ لأنه بحث في مدلول كلمة استشراق من الناحية اللغوية، وليس هناك توضيح لمضمون هذه الكلمة، وماذا تعني؟ وهذا قصور في التعريف.

وهناك من ربط الاستشراق بدراسة العرب، لغة وحضارة وديناً، فقال: « المستشرقون هم أولئك الأساتذة والباحثون الأكاديميون الذين تخصصوا في

(١) فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلوفتش.. القاهرة: دار الفكر العربي.١٤١٨هـ. ص٢٠.

(٢) الدراسات العربية الإسلامية الألمانية. رودي بارت. ترجمة د. مصطفى ماهر. القاهرة: دار الكتاب العربي.١٩٦٧م.ص١١.

دراسة اللغة العربية والحضارة العربية، وبقضايا العالم العربي وبالدين الإسلامي»[١].

وهذا قصور في التعريف من وجهة نظري؛ لأن الاستشراق ليس خاصًّا بدراسة العرب ولغتهم وحضارتهم، بل يوجد من المستشرقين من يوصف بوصف الاستشراق؛ لأنه باحث في بعض علوم الشرق، وهو لا يعرف اللغة العربية، بل قد يكون مختصًّا بلغة من لغات المشرق الإسلامي كالفارسية، أو الأوردية، أو التركية ونحو ذلك من لغات مشرقية، أو قد يكون مختصًّا في فرع من فروع المعرفة في واحدة من تلك اللغات كالآداب، أو التاريخ، أو الجغرافيا، ومع ذلك يعتبر مستشرقاً ويبحث ويتحدث حول قضايا الدين الإسلامي، ويؤلف في أمور تخص المسلمين .

وهناك من الباحثين من جعل الاستشراق يشمل كل ما له صلة بالشرق، سواء كان شرقاً مسلماً كبلاد العرب، وإيران، وإندونيسيا، أو شرقاً غير مسلم كالهند والصين، واليابان، فقال: «المستشرقون» اصطلاح واسع يشمل طوائف متعددة [من الغربيين][٢] تعمل في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم، والفنون والآداب، والديانات، والتاريخ، وكل ما يخص الشرق، مثل الهند، وفارس، والصين واليابان، والعالم العربي، وغيرهم من أمم الشرق»[٣]، وقال بعضهم عن المستشرق: « هو كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية

(١) الدراسات العربية والإسلامية في أوربا. د. ميشال جحا. ط١. بيروت: معهد الإنماء العربي.ط١. ١٩٨٢م.ص١٥.

(٢) هذه الزيادة من الباحث للتوضيح عطفاً على كلام سابق يبدأ بقول المؤلف: " يكون المستشرقون الغربيون".

(٣) المستشرقون ومشكلات الحضارة. د. عفاف صبرة. دار النهضة العربية. القاهرة. ١٩٨٥م.ص٩.

وتقصي آدابها طلباً لتعرُّف شأن أمة، أو أمم شرقية من حيث أخلاقها، وعاداتها، وتاريخها، ودياناتها، أو علومها وآدابها، أو غير ذلك من مقومات الأمم»[١].

وقال آخر: «إن المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون، لمعرفة الشرق من جميع جوانبه»[٢]، وهذه التعريفات شاملة لجميع المشرق، المسلم منه، وغير المسلم، ونحن كمسلمين نريد حصر الاستشراق كمفهوم أو مصطلح بالدراسات التي تخصنا؛ لكي نعرف ماذا يقال ويكتب عنا، وكيف نرد ونواجه ونناقش؟، فالتعريف صحيح من الوجهة النظرية؛ لأن البلدان المذكورة هي بلاد شرقية وإن لم تكن مسلمة، ولكن يصبح هذا المفهوم عامًّا وغير دقيق، لذا ينبغي أن نطلق على الدراسات التي تخص الصين الدراسات الصينية، وما يخص اليابان الدراسات اليابانية وهكذا، ولنبق على مصطلح الاستشراق خاصًّا بدراسة ما يتصل بالإسلام وأهله.

وبعض الباحثين ربط الاستشراق بدراسة حضارة العالم الإسلامي من قبل غير المسلمين فقال: « هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى ولهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدرسونها»[٣].

وهذا التعريف تعريف غير منضبط؛ لأنه يولِّد سؤالاً آخر، وهو ما تعريف الحضارة؟ وهل الدين هو الحضارة؟ وإذا قلنا بأن الدين هو الحضارة فعليه لو أسلم المستشرق، فإن التعريف لا ينطبق عليه؛ لأنه أصبح ينتمي إلى الحضارة الإسلامية بعد أن انسلخ عن الحضارة الغربية، كما أن العربي غير المسلم يصبح مستشرقاً، وإذا قلنا بأن الدين ليس هو الحضارة فإن الآخرين من حضارات

---

(١) المفصل في تاريخ الأدب العربي. أحمد الإسكندري وآخرون. القاهرة: مطبعة مصر. ١٩٣٤م.(٤٠٨/٢).

(٢) الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. د. ساسي سالم الحجاج. ط١. مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي. ١٩٩١م. ص٢٠

(٣) مقدمة في علم الاستغراب. د. حسن حنفي.. القاهرة: الدار الفنية. ١٩٩١م. ص١٣.

المشرق الأخرى يوصفون بأنهم مستشرقون كاليابانيين والهنود، والصينيين، وهؤلاء محل خلاف، هل يوصفون بالمستشرقين أم لا؟

وبعضهم ربط الاستشراق بأوروبا فقال: « إن المستشرقين من أوروبا نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث، وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع، ولكل منهم لغته الأصلية التي رضع لبنها من أمه، وأبيه، ومجتمعه، وبيئته، فصارت له اللغة الأم كما يعبرون، فهو يغار عليها ويتأثر بها، ويستجيب لموحياتها، ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية»[1] .

وهذا تعريف فيه قصور – من وجهة نظري – لأنه حصر الاستشراق بالأوربيين، والاستشراق يشمل الأمريكيين على سبيل المثال، إذا قلنا بأنه الدراسات الغربية فتخصيص الأوربيين تحكم لا يقره مفهوم الاستشراق اللغوي، فضلاً عن المفهوم الاصطلاحي العام.

ثم إنه تعريفٌ حَصَرَ الدراسات الاستشراقية بتعلم اللغة العربية، وهذا أيضاً تضييق لمفهوم الشرق الإسلامي، أو الشرق بعامة.

وهناك من جعل الاستشراق عملاً مؤسسيًّا، قائماً على العمل والجهد الجماعي فقال عن الاستشراق: « هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، وبوصفه، وتدريسه، والاستقرار فيه، وحكمه، وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، واستبنائه، وامتلاك السيادة عليه»[2]، وهذا في نظري تضييق لمفهوم الاستشراق بكونه حصره بالعمل الجماعي القائم على نظام مؤسسي، ونحن نرى أن هناك جهوداً للمستشرقين كانت قائمة على مبادرات فردية – بل معظم جهودهم كانت كذلك – كما أنه يُخرج جهود مستشرقين كان

(١) التصوف عند المستشرقين. د. أحمد الشرباصي.. القاهرة: مطبعة الأمل. ١٩٦٦م. ص٦.

(٢) الاستشراق (المعرفة– السلطة– الإنشاء). إدوارد سعيد. ترجمة: كمال أبو ديب. الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية. ١٩٨٤م. ص٣٩.

هدفهم من هذه الدراسات هو المحبة للشرق، أو البحث عن الحقيقة دون هدف للسيطرة، أو حب التملك، وإني لأستعجب كيف يصدر هذا التعريف للاستشراق من رجل أكاديمي، ينبغي عليه ضبط تعريفه، فإذا كان معظم الاستشراق قائماً على ما يراه الباحث، فليس له إطلاق مثل هذا الحكم المطلق.

فهذه نماذج توضح مدى الصعوبة التي تكتنف مصطلح الاستشراق من حيث إيجاد تعريف له، ولقد رأينا من خلال هذه النماذج مدى التباين والاختلاف بين المعرِّفين وهذا شأن كل المفاهيم التي ترتبط بالمعرفة الإنسانية، وهي غير خاضعة للتجربة، أو الحس المشاهد على نموذج واحد، أو عينة متشابهة، ولكني كباحث قرأت الكثير من التعريفات حول الاستشراق، أرى أن هناك تعريفاً للاستشراق يكاد يستوعب هذا المصطلح، حيث قال في تعريفه للاستشراق : « الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، وكلمة (مستشرق) بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. والمعنى الخاص لمفهوم الاستشراق هو الذي يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام»(١).

فهذا تعريف مفصَّل ودقيق، حيث ذكر تعريفاً عامًّا يستوعب الاستشراق كمدلول لغوي واسع، وتعريفاً خاصًّا يستوعب الدراسات حول العالم الإسلامي كمفهوم اصطلاحي، فينصرف الذهن عند إطلاق الاستشراق إلى ما يخص العالم الإسلامي من الدراسات الغربية.

ولكن يرد على هذا التعريف إشكال يسير، وهو أن الباحثين الروس المختصين بالدراسات الإسلامية، أو العربية على سبيل المثال لا يستوعبهم التعريف، مع أنهم يوصفون بأنهم مستشرقون، في اللقاء معهم، أو الكتابة عنهم، وهذا يؤكد صعوبة

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. د. محمود زقزوق. سلسلة كتاب الأمة. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.١٤٠٥هـ.ص١٨.

تعريف الاستشراق، ومن الممكن أن نصوغ تعريفاً يستوعب جميع هؤلاء وأولئك ، فنقول: « الاستشراق: هو الدراسات عن الإسلام: تشريعاً، وتاريخاً، وعقائداً، وثقافة، وحضارة وآداباً، ولغاتٍ، التي يقوم بها غير المسلمين من غير العرب – حتى ولو كانوا شرقيين – أو يقوم بها مسلمون من أصل غير مسلم دخلوا الإسلام مع بداية دراساتهم عن عالم الشرق، أو عرب غير مسلمين عاشوا في بلاد الغرب وتكلموا لغته، واكتسبوا جنسيته».

فهذا التعريف يستوعب جميع المختصين بالدراسات الشرقية، فلا يوجد منهم من لم يدخل في التعريف، أي أنه تعريف شامل يشمل الغربي غير المسلم مثل جولد زيهر[(١)] ، ويشمل الغربي الذي أسلم مثل ليوبولدفايس[(٢)] ، ويشمل العربي غير المسلم الذي عاش في الغرب مثل فيليب حتى[(٣)]، ويشمل الشرقي غير المسلم مثل المستشرق الروسي كريمسكي[(٤)].

---

(١) جولد زيهر (١٢٧٧هـ – ١٣٤٠هـ). مستشرق مجري يهودي، عمل أستاذاً بجامعة بودابست وتوفي بها. رحل إلى بعض البلاد العربية، وتعتبر أبحاثه ومؤلفاته مرجعاً لمعظم الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية، ألف العديد من المؤلفات منها : العقيدة والشريعة في الإسلام، مذاهب التفسير الإسلامي وغيرها. انظر. الزركلي. الأعلام. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.١٩٧٩م.(١/١٨٠).

(٢) ليوبولدفايس (محمد أسد) مستشرق نمساوي، درس الإسلام ثم اعتنقه، اهتم بتصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام، ألف عدداً من المؤلفات منها: الطريق إلى مكة، الطريق إلى المدينة، والإسلام على مفترق الطرق، توفي في إسبانيا بعد أن عُمّر طويلاً. انظر. نجيب العقيقي: المستشرقون. ط٤. القاهرة: دار المعارف.١٩٨٠م.ج٢. ص٦٤٢.

(٣) فيليب حتى لبناني نصراني تأمرك. ولد سنة ١٨٨٦م، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون، ورئيساً لهذا القسم، من مؤلفاته: تاريخ العرب، وتاريخ سوريا، وأصول الدولة الإسلامية، كتاباته بها مسحة تعصب ضد الإسلام. انظر. في الغزو الفكري (المفهوم – الوسائل – المحاولات). نذير حمدان .الطائف: مكتبة الصديق(بدون تاريخ). ص٢٢١.

(٤) كريمسكي (١٨٧١– ١٩٤١م). مستشرق روسي يهودي. ولد في أوكرانيا، اهتم باللغة والتاريخ والأديان، صار سكرتيراً لمجمع العلوم الأوكراني من مؤلفاته (العالم الإسلامي ومستقبله، وتاريخ الإسلام). انظر. المستشرقون، نجيب العقيقي. القاهرة: دار المعارف. ط٤. ١٩٨٠م.ج٢.ص٩٤٦.

المبحث الأول

تاريخ المدرسة الاستشراقية الروسية

كان الاتصال الأول بين المسلمين وبين المناطق الجنوبية من الدولة الروسية مبكراً جدًّا، حيث فتحت بلاد **داغستان** في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واعتنقت قبائل **البلغار** وهم من أصل تركي الدين الإسلامي في القرن التاسع الميلادي، وكانت مساكنهم على ضفتي أشهر نهر في روسيا، وهو نهر **الفولكا** [1].

ولقد كتب أول وصف لأحوال تلك الشعوب العالم العربي المسلم أحمد بن فضلان[2] في كتابه المشهور « **الرحلة إلى بلاد الترك والخرز والروس والصقالبة**» سنة ٣٠٩هـ، وهي رسالة مطبوعة.[3]

وكانت هناك رحلات روسية في العالم الإسلامي ظهرت في العصر العباسي الأول عن طريق تجارتهم مع بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووصول التجار العرب إلى بلاد الروس، فأقاموا علاقات تجارية مع التجار الروس في تلك الفترة، وكانت أهم السلع التي يجلبونها الحرير والعسل، فوجود التجارة بين الروس والمشرق الإسلامي جعلهم يأخذون انطباعاتهم الأولى عن هذا المشرق من خلال احتكاكهم بالتجار المسلمين، وهذا جعل بعضهم يكتب عن زيارته للمشرق فيظهر إعجابه بالمشرق الإسلامي، وأخلاقيات شعوبه المسلمة وحسن تعاملهم.

---

(١) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي: مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا.ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ٢٠٠٢م. ص٢٠.

(٢) أحمد بن فضلان: هو أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي، ولد سنة ٢٦٤هـ تقريباً، قام برحلة إلى بلاد روسيا وبلغار سنة ٣٠٩هـ، ووصفها في كتابه «رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة». انظر: الزركلي. الأعلام. ط٦.ج١. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٤م. ص١٩٥-١٩٦.

(٣) د. عبد الرحيم العطاوي. مرجع سابق. ص٢٠.

والطريق الآخر لهذه الرحلات من خلال زيارات يقوم بها نصارى الروس إلى بيت المقدس.[١]

وكذلك أخذ الروس شيئاً من المعلومات عن العالم الإسلامي من خلال الترجمة، التي حصلت لبعض الكتب الغربية المكتوبة عن الإسلام والمسلمين من قِبل كتاب غربيين، وتم نقلها إلى اللغة الروسية، وهذا ما جعل الروس يعرفون شيئاً عن الإسلام وأهله، كترجمة كتاب يتناول وصف مكة والمدينة، وسيرة الرسول ﷺ.[٢]

ثم توسعت الدولة الروسية على حساب دول الشرق المسلمة، وصارت دولة كبرى خاصة بعد محاربتها الدولة العثمانية واستيلاء روسيا على مدينة «**قازان**» عاصمة الدولة التترية عام ١٥٥٢م، وعلى « **استراخان** » وتوسعها الكبير جهة الشرق، واحتلالها لسيبيريا شمالاً، والقضاء على الدولة المسلمة والتي تسمى باسم «خانة سيبر» عام ١٥٩٨م.[٣]

وبعد ذلك جاء القيصر الروسي «**بطرس الأول** ت- ١٧٢٥م»[٤] وتأثر بعد زيارته لهولندا فشجع بلاده للانتماء الثقافي للغرب، ورأى مدى قوة الدراسات

---

(١) انظر: د. عدنان وزان. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. مكة المكرمة. رابطة العالم الإسلامي (سلسلة دعوة الحق). ١٤٠٤هـ.ص١١٠.

(٢) انظر: د. مكارم الغمري. مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. الكويت. سلسلة عالم المعرفة. ١٩٩١م.ص٣٣.

(٣) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي والمرحلة التأسيسية.ط١.كندا. تورنتو. المركز الأكاديمي للبحوث. ط١. ٢٠١٩م. ص١٣،و د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٢٨-٣٠.

(٤) بطرس الأول: ولد في موسكو سنة ١٦٧٢م، وهو يعتبر مؤسس الدولة الروسية العصرية، حارب الدولة العثمانية فترة طويلة، وتوفي سنة ١٧٢٥م، في مدينة بطرسبيرغ. انظر: الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة: دار الشعب. ص٣٣٧-٣٧٨.

الشرقية في هولندا، وخدمتها للمملكة الهولندية في تعاملها وسيطرتها على بعض بلدان المشرق الإسلامي، فأمر سنة ١٧١٦م، بابتعاث خمسة من الشبان الروس إلى بلاد فارس لتعلم العربية، والتركية، والفارسية ، وأسس عام ١٧١٤م متحف «**الكونست كاميرا**» والذي كان مستودعاً لتاريخ وثقافة الشرق؛ وذلك لكي يفهم ويستوعب عدوه اللدود في ذلك الوقت وهو الدولة العثمانية المسلمة، ولكي تسهل السيطرة السياسية والعسكرية عليها، وظهرت هذه العداوة للدولة العثمانية بعد إسقاطها لعاصمة الأرثوذكسية مدينة القسطنطينية، والتي انتقلت بعدها الكنيسة الأرثوذكسية إلى مدينة موسكو ثم إلى مدينة سانت بطرسبيرغ، والتي صارت تسمى روما الثالثة(١)، وسعت هذه الكنيسة لتنصير المسلمين في بلدان المشرق الإسلامي الأقصى المحاذي لروسيا جنوباً، والتي احتلتها الدولة الروسية ومحاربة الدين الإسلامي، حيث منعت الدعوة الإسلامية تماماً، وشجعت المسلمين على التنصر بإعفائهم من التجنيد، ومن دفع الضرائب لمدة ثلاث سنوات وتم هدم ٤١٨ مسجداً من ٥٣٦ مسجداً كانت توجد بالمنطقة، في الفترة بين ١٧٣٨م – ١٧٥٥م، ولقد قام الروس عام ١٨٢٨م بغزو بلاد الشراكسة في القوقاز، واستولوا عليها ، ونزح تقريباً ٦٠% من سكانها إلى العالم الإسلامي، واستقروا في بعض بلدانه.

واستولت هذه الدولة على أراضيهم ووزعتها على نبلاء الروس، وطردت المسلمين منها، وتم إلغاء الحروف العربية التي تكتب بها لغات تلك المناطق، وأبدلت بأبجدية «كيريلتسا». (٢)

ثم ظهر بعد ذلك جيل من الرحالة الروس الذين جالوا في العالم الإسلامي وكتبوا عن هذه الرحلات؛ مما ساهم بتعريف الروس عن بلدان الإسلام، والتعريف

(١) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص١٣.

(٢) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. مرجع سابق. ص٣٩-٤١.

بعادات وتقاليد المسلمين، (ومن هؤلاء الرحالة الروسي «**فاسيلي بارسكي**»[١] والذي زار فلسطين، ومصر، وسوريا وكتب عن القدس، وسيناء، وألف كتاباً وصف فيه رحلته، وتحدث عن العادات والتقاليد لأهل تلك البلدان، ووصف الآثار الرومانية في الإسكندرية وفي بلاد الأردن في رحلة استغرقت عشرين عاماً من عام١٧٢٤م- ١٧٤٤م ، وقد لاقى كتابه هذا رواجاً عند الروس حتى أنه تمت إعادة طباعته ست مرات لكثرة الطلب على هذا الكتاب من القراء الروس [٢]).

ومنهم الرحالة الراهب «**ميليتي**[٣]» والذي سافر إلى بلدان الشرق المسلم سنة ١٧٩٣م، وزار بلاد الشام وكتب عنها.

وكذلك الرحالة «**سينكوفسكي**[٤]»(ت ١٨٥٠م)، والذي تجول في بلدان العالم العربي، وتعلم العربية في مدينة «صور» اللبنانية من خلال إحدى مدارس الإرساليات التنصيرية وزار القاهرة وصعيد مصر، وكتب عن تاريخ وجغرافية تلك البلدان التي زارها[٥]، وألف كتاباً أسماه «ذكريات عن سوريا» واشترك مع آخر في وضع كتاب «دليل السياح في الشام ومصر».[٦]

---

(١) فاسيلي بارسكي: رحالة ومستشرق روسي، كان يحيد اللغة العربية، ولد سنة ١٧٠١م، وكتب كتابه «رحلة في الأماكن المقدسة» ، توفي سنة ١٧٤٧م.

(٢) انظر: د. مكارم الغمري. مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. ص٤١-٤٢.

(٣) ميليتي: راهب روسي قام بزيارة المشرق الإسلامي بين عامي ١٧٩٣- ١٧٩٤م، فزار القسطنطينية وبلاد الشام ودرس العلاقات بين نصارى الشرق. انظر د. الساموك . الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ط١. الأردن: عمان. دار المناهج. ٢٠٠٣م. ص٥٩.

(٤) سينكوفسكي: مستشرق روسي ولد سنة ١٨٠٠م، أتقن العربية بعد زيارته إلى لبنان وصار أستاذاً في جامعة بطرسبيرج، توفي سنة ١٨٥٨م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٠.

(٥) انظر: د. مكارم الغمري. مرجع سابق. ص٣٩-٤٠.

(٦) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٠.

وهناك من قضى زمناً في بلاد العرب متعلماً لا زائراً فقط، مثل المثقف الروسي «**كيربيف**»، والذي صار يعرف عند الروس بالمصري، لأنه أقام في مصر سنة ١٤٩٣م، وكتب عن بلاد مصر، وحاول المقارنة بين قصر السلطان بالقاهرة وقصر «**الكريملين**» في موسكو، وهناك الروسي العسكري «**دورخين**» والذي أقام عشر سنوات أسيراً عند العثمانيين من ١٦٧٠م-١٦٨٠م، وألف كتاباً عنوانه «**وصف الامبراطورية التركية**» وصف فيه معالم مدينة القاهرة وصفاً دقيقاً وكذلك بيت المقدس وتونس والإسكندرية ومدن الشام وفلسطين والعراق، كما اهتم بوصف الجيش العثماني والموضوعات العسكرية ذات الصلة بهذا الجيش بحكم تخصصه العسكري وهو وصف لم يسبق غيره له.(١)

ثم سعى الاستشراق الروسي إلى بداية عمل مؤسسي لا يعتمد على الاجتهادات الفردية، وإنما على عمل مؤسسي منظم، فتأسست أكاديمية العلوم سنة ١٧٢٥م، وتم إنشاء مطبعة داخل هذه الأكاديمية لطباعة الكتب الشرقية، وتم إنشاء أول مجلة أكاديمية سنة ١٧٢٦م، وتم افتتاح القسم الآسيوي في وزارة الخارجية عام ١٧٩٧م، الذي يدرس اللغات الشرقية للعاملين في السلك الدبلوماسي، فكان القرن الثامن عشر الميلادي له أهمية في بناء أساس علمي من جامعات، وأقسام ومطابع للدراسات الشرقية، وتخريجه لمجموعة من الباحثين المختصين بتلك الدراسات، وكان للمستشرقين الألمان دور بارز في إنشاء هذه الأقسام الأكاديمية والتدريس فيها، وعكسوا تأثير المدرسة الألمانية في جديتها ومثابرتها في البحث والاستقصاء على طلاب تلك الأقسام. وكان «**ديمتري كونتمير**»(٢) والذي تعلم العربية، والتركية، والفارسية من أوائل المستشرقين الروس

---

(١) انظر د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٥٠-٥١.

(٢) كونتمير: أمير روسي، تعلم اللغات التركية والفارسية والعربية في أسطنبول، وصار مستشاراً للملك بطرس الأول، وهو أول من أنشأ مطبعة بالأبجدية العربية في روسيا، توفي سنة ١٧٢٣م. انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٣٢-٣٣.

الذين تم تأسيسهم تأسيساً علميًّا على يد هؤلاء المستشرقين الألمان، وألف كتاباً عن الإسلام عنوانه «**النظام أو حالة الدين الإسلامي**» عام ١٧٢٩م.[(١)]

وقد بدأت مرحلة العمل المنظم لتأسيس استشراق روسي أكاديمي يعمل وفق المدرسة الاستشراقية الهولندية سنة ١٨٠٤م، حيث صدر مرسوم يقضي بافتتاح أقسام خاصة للغات الشرقية في الجامعات الروسية ومن هذه الجامعات:

١- **جامعة فيلنيوس:** وقد بدأت مرحلة الاهتمام بالشرق وتعلم اللغات الشرقية من خلال أكاديمية «**فيلينـوس**» منذ عام ١٥٧٩ إلى ١٧٧٣م، وهذه الجامعة أُغلقت أبوابها عام ١٨٣٢م.

٢- **جامعة خاركوف:** والتي افتتح فيها سنة ١٨٠٥م، أول قسم للدراسات الشرقية في الجامعة برئاسة المستشرق الألماني «**بيريندت**» .

٣- **جامعة قازان:** التي افتتح فيها سنة ١٨٠٧م، أول قسم للدراسات الشرقية في الجامعة برئاسة المستشرق الألماني «**فرين**».

٤- **جامعة موسكو:** والتي افتتح فيها سنة ١٨١١م، أول قسم للدراسات الشرقية في الجامعة على يد المستشرق الروسي «**بولديريبف**»، وأوجدوا فيها مطبعة بالحروف العربية تقوم بطباعة كتبهم ومؤلفاتهم.

٥- **جامعة سانت بطرسبيرغ:** والتي افتتح فيها قسم الدراسات الشرقية سنة ١٨١٨م، ثم صار من أكبر الأقسام الاستشراقية على مستوى العالم.[(٢)]

كما ساهم بعض الأساتذة العرب في دفع العجلة الاستشراقية في روسيا، ومن أشهر هؤلاء الشيخ «**محمد عياد الطنطاوي**»[(٣)]، والذي سافر إلى روسيا وأقام فيها

---

(١) انظر: د ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٣٠-٣٣.

(٢) انظر: د. عبدالرحمن العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٧٣-٨١.

(٣) محمد عياد الطنطاوي: مصري أزهري ولد سنة ١٨١٠م، سافر إلى روسيا بطلب من القيصر الروسي للتدريس في مدرسة الألسن التابعة لوزارة الخارجية، ثم صار أستاذاً للعربية في جامعة بطرسبيرغ، توفي سنة ١٨٦١م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٦٥.

أكثر من عشرين عاماً، حيث سافر لها سنة ١٨٤٠م، ودرس فيها العربية في جامعة بطرسبيرغ، وتوفي هناك سنة ١٨٦١م، وتم على يديه تعلم مجموعة من المستشرقين الروس الذين صاروا بداية لتكوين المدرسة الاستشراقية الروسية الحديثة.(١)

وكان من الأساتذة العرب الذين درسوا العربية في روسيا «**ميخائيل يوسف عطايا**»(٢) وهو من بلاد الشام، و«**بندلي جوزي**»(٣)، و« **جرجس مرقص**»(٤)، و«**كلثوم نصر عودة**»(٥).(٦)

ثم بعد أن رسخ هذا الاستشراق في الجامعات الروسية، بدأ الروس في إصدار المجلات التي تهتم بالدراسات الإسلامية العربية، وكذلك إنشاء الجمعيات العلمية، والمكتبات العلمية التي تحوي كتباً ومخطوطات عن العالم الإسلامي.

---

(١) انظر: كراتشكو فسكي.حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي. ترجمة كلثوم عودة. ط٢. القاهرة. الهيئة العامة لقصور الثقافة. ص٤٣-٥٨.

(٢) ميخائيل يوسف عطايا: ولد سنة ١٨٥٢م في دمشق، سافر إلى روسيا، ودرَّس في كلية لازيف، توفي سنة ١٩٢٤م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣.ص٦٦.

(٣) بندلي جوزي: ولد سنة ١٨٧١م في مدينة القدس، تخصص في (قازان) بالدراسات الشرقية ودرَّس في جامعتها، ثم في جامعة (باكو) إلى أن توفي سنة ١٩٤٢م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٦٦.

(٤) جرجس مرقص: ولد سنة ١٨٤٦م في دمشق، كان أول أستاذ للعربية في كلية «لازاريف»، كان أول من كتب في روسيا عن الأدب العربي الحديث، توفي سنة ١٩١٢م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٦٦.

(٥) كلثوم نصر عودة: ولدت في بلدة الناصرة في فلسطين سنة ١٨٩٢، تزوجت طبيب روسي وذهبت معه إلى هناك، كانت أستاذة في جامعة «لينتجراد» وهبتها الحكومة الروسية وسام الفخر عام ١٩٦٢م، اعترافاً بفضلها في نشر الأدب العربي. انظر: العقيقي. ج٣. ص٦٧.

(٦) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٧٤-٧٦.

١- إصدار المجلات والدوريات العلمية:

اهتم الروس بإصدار المجلات العلمية والتي تهتم بالدراسات والبحوث حول المشرق الإسلامي، وكان من تلك المجلات التي تهتم بنشر مواضيع حول تلك الدراسات مجلة «**تلغراف موسكو**» والتي نشرت عدداً من المواضيع حول الثقافة العربية كنشر قصائد مترجمة للروسية لشعراء عرب، وترجمة أمثال عربية إلى الروسية، ومقتطفات من أدب الرحالة ومختارات من الأدب العربي وبخاصة «ألف ليلة وليلة»، وتحليلات لأعمال المستشرقين، وترجمة لقصائد عربية، واستمر صدور هذه المجلة لمدة عشر سنوات ثم توقفت عن الصدور.(١)

وهناك مجلة «**عالم الإسلام**» والتي ظهرت سنة ١٩١٢م، (٢) و«**حوليات المعهد الشرقي**»، و مجلة «**علم الشعوب**»، ومجلة «**قضايا الاستشراق**»(٣) ، ومجلة «**الكتابات الشرقية**» والتي ظهرت عام ١٩٤٧م، وأصدرتها خبيرة الكتابات والنقوش الإسلامية «**فيرا كراتشكو فسكايا**(٤)».(٥)

ولقد ساعد وجود المطابع العربية في جامعة «**قازان**» وجامعة «**بطرسبيرج**» على طباعة ونشر بعض كتب التراث الإسلامي والعربي مثل: «**الموافقات**» للشاطبي، و«**ديوان طرفة بن العبد**»، و«**النموذج**» للزمخشري، و«**العقيدة الطحاوية**»، و «**لامية الأفعال**» لابن مالك، وغيرها من كتب التراث الإسلامي.(٦)

---

(١) د. مكارم الغمري. مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. ص٥١- ٥٢.

(٢) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستغراب الروسي. ص١٨٥.

(٣) انظر: المستشرقون. العقيقي. ج٣. ص٦٤-٦٥.

(٤) فيرا كراتشكو فسكايا: هي زوجة المستشرق الروسي الشهير «كراتشكو فسكايا» ولدت سنة ١٨٨٤م، وهي خبيرة بالكتابات الإسلامية، ولها كتابات وأبحاث كثيرة حول الكتابات العربية. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣.ص٩٠.

(٥) انظر: العقيقي. مرجع سابق. ج٣. ص٩٠.

(٦) انظر: العقيقي. مرجع سابق. ج٣. ص٦٣.

٢- **الجمعيات:**

قام الاستشراق الروسي بإنشاء جمعيات علمية، تقوم بإصدار المجلات، وعقد المؤتمرات وطباعة الكتب والمنشورات، وتنظيم الندوات، وإلقاء المحاضرات، ومن تلك الجمعيات «**الجمعية الشرقية**» والتي نشأت عام ١٨٨٦م، في موسكو، وتكونت من مجموعة من كبار المستشرقين الروس في تلك الفترة، وكان إنشاؤها بتوجيهات من الحكومة القيصرية[١]، وتم إنشاء جمعية جديدة في العهد السوفييتي سميت بـ«**جمعية المستشرقين الروس**» في موسكو سنة ١٩٢٢م، وفي عام ١٩٣٤م ظهرت جمعية «**المستعربين**» في ليننغراد [٢].

٣- **إنشاء المعاهد المتخصصة:**

قام الاستشراق الروسي بإنشاء معاهد متخصصة لتعليم اللغات الشرقية وآدابها، وكذلك لتقديم البحوث حول هذا المشرق ومن تلك المعاهد:

❖ «**معهد الشعوب الآسيوية** » ويهدف هذا المعهد إلى الإشراف على الدراسات الإسلامية والعربية، وتأسس على يد مجموعة من المستشرقين الروس المتخصصين وتُقدم هذه الدراسات للحكومة الروسية لتسترشد بها في سياستها الخارجية مع بلدان العالم الإسلامي، ولقد أصدر هذا المعهد مجموعة من الكتب منها: «**سوريا ولبنان**» عام ١٩٦٤م، و«**الجزيرة العربية والخليج**» عام ١٩٦٥م، و« **العراق** » عام ١٩٦٦م، و«**مصر**» عام ١٩٦٧م، وكلها دراسات تحدد الخارجية الروسية على ضوئها كيفية التعامل مع تلك البلدان، ومعرفة نقاط القوة والضعف فيها، مما يسهل على الحكومة الروسية معرفة التوجه الديني، والسياسي، والاجتماعي داخل تلك البلدان وكيفية وآلية التعامل معها[٣].

(١) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٨٠.
(٢) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٧٥.
(٣) انظر محمد أسد شهاب. الاستشراق الروسي. مجلة الأمة. الدوحة: قطر. العدد ٢٠- السنة الثانية. ص٢٦-٢٨.

❖ معهد «**لازاريف**»: تم إنشاء هذا المعهد سنة ١٨١٥م، بمساعدة من عائلة أرمينية غنية تحمل هذا الاسم، وكان الغرض منه تدريس الطلبة الأرمن، وجرى تدريس اللغة العربية، والتركية، والفارسية كمواد إلزامية في هذا المعهد، وتم الاعتراف به بصفة معهد سنة ١٨٤٤م، وصار خريجو هذا المعهد يحصلون على نفس حقوق خريجي الأقسام الشرقية في الجامعات الروسية، ولقد خرَّج هذا المعهد مجموعة من المستشرقين الروس، فقام هذا المعهد بدور فعال في تقوية الاستشراق الروسي حتى تم تحويله بعد ثورة ١٩١٧م إلى معهد الاستشراق السوفييتي.[١]

❖ معهد «**الاستشراق السوفييتي**» وهو معهد صار مختصًّا بدراسة الشؤون الإيرانية بعد تحويل معهد «لازاريف» إلى هذا الاسم الجديد، ويقدم هذا المعهد دراسات متخصصة حول إيران جغرافية وسكاناً، ومعتقدات، واقتصاداً، وهذا يدل على اهتمام الروس بالجانب الإيراني بسبب قربها من الحدود الروسية في تلك الفترة قبل تفكك الاتحاد السوفييتي.[٢]

٤- المكتبات:

كان هناك مكتبات علمية أنشأها الاستشراق الروسي لخدمة أبحاثهم العلمية وقراءتهم عن الشرق، ومن تلك المكتبات:

❖ **مكتبة طشقند**: وهي مكتبة تحوي ثمانين ألف كتاب من مخطوط ومطبوع عن المشرق الإسلامي باللغات العربية، والتركية، والفارسية، ويوجد بها خمسة عشر ألف كتاب في اللغة العربية.

❖ **مكتبة لينتجراد**: وهي مكتبة يوجد بها اثنا عشر ألف كتاب مطبوع ومخطوط.[٣]

---

(١) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٥٧-٥٩.

(٢) انظر: د. عبد المتعال الجبري. الاستشراق وجه الاستعمار الفكري. القاهرة. مطبعة وهبة. ص٣٢.

(٣) د. عبد المتعال الجبري. الاستشراق وجه للاستعمار. ص٨٦.

❖ **المكتبــة الامبراطوريــة العامــة:** وفيها قرابة ٢٠ مليون مجلد بينها مخطوطات شرقية نفيسة.[١]

❖ **مكتبة المتحف الآسيوي:** وتحتوي على ١٠ مليون مجلد، ويوجد فيها ١٢٠ ألف من المخطوطات الإسلامية منها ٥ آلاف مخطوط عربي.[٢]

٥- المتاحف الشرقية:

اهتم الروس بإنشاء المتاحف الشرقية والتي تعنى بالآثار والفنون الشرقية ومن تلك المتاحف:

❖ **متحف معهد علم الشعوب:** تأسس عام ١٨٧٨م، في مدينة لينينجراد، وفيه قسم خاص بالشرق العربي، ودراسة منظمة للبلاد العربي.

❖ **متحف «بوشكين»: للفنون الجميلة في موسكو:** وفيه مركز دراسات لحضارات سوريا القديمة وبلاد الرافدين، ومصر الفرعونية والقبطية.

❖ **متحف «الريتاج»:** في لينينجراد، تأسس عام ١٨٥٢م، وفيه قسم لفنون الشرق القديم.

❖ **متحف الحضارات الشرقية:** في موسكو، وقد تأسس عام ١٩١٨م.[٣].

ولسائل أن يسأل: لماذا الكتابة عن الاستشراق الروسي، وهو استشراق مغمور مقارنة بالاستشراق الغربي؟

وللإجابة عن هذا التساؤل أضع هذه النقاط التالية لعلها تجلي طرح هذا السؤال، وتضع نقاطاً حول مثل هذا الطرح، وليظهر لنا أهمية الدراسة حول الاستشراق الروسي والتي تتمثل بالآتي:

١- أن هذه المدرسة الاستشراقية لا يزال تاريخها مجهولاً ، وليس له صدى إعلامي واسع لعدم الكتابة عنه، وإهماله مقارنة بما كتب عن الاستشراق الغربي.

---

(١) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٥٩.
(٢) انظر: العقيقي. مرجع سابق. ج٣. ص٥٩-٦٠.
(٣) انظر: العقيقي. مرجع سابق. ج٣. ص٦٣-٦٤.

٢- عدم وجود كتابات تاريخية عن تاريخ العلاقات الروسية والإسلامية قبل قيام الدولة العثمانية ومدى علاقة امبراطورية الروس بالبلدان الإسلامية المجاورة.[١]

٣- وجود عدد كبير من المخطوطات الإسلامية والعربية في المكتبات الروسية، وهذه ينبغي الاهتمام بها ودراستها، والكتابة حولها، وحول من حفظها، واعتنى بها، وكتب عنها من هؤلاء الروس.

٤- أن معظم دراسات الاستشراق الروسي حول الإسلام والمسلمين رغم وجودها إلا أنها ليست ظاهرة ومعروفة لا تأليفاً ولا تدريساً، فالكتابة عنها وعن مدرستها الاستشراقية تظهرها وتجعلها معروفة للباحثين والمهتمين.

٥- أن اللغة الروسية لغة ليست متداولة في بلدان العالم الإسلامي تدريساً ومعرفة، لذلك قل الاهتمام بإنتاج تلك المدرسة، وصار هذا الانتاج مدفوناً في المكتبات المختصة.

٦- ضعف التواصل بين روسيا والعالم الإسلامي؛ وذلك لأن روسيا كانت شيوعية وتسعى لنشر الشيوعية في بلاد المسلمين ، ودعم الأنظمة الشيوعية في العالم الإسلامي، وهذا أوجد ردة فعل قوية ضد كل ما هو روسي لدى المسلمين، بل كانت بعض الحكومات الإسلامية لا تقيم علاقات مع روسيا الشيوعية.

لكن بالمقابل نجد أن الروس تأخروا عن نظرائهم الأوربيين في دراستهم للمشرق الإسلامي، حيث ظهرت الدراسات الروسية الأكاديمية في القرن التاسع عشر الميلادي، فيأتي السؤال أيضاً: لماذا تأخر الروس في دراستهم المنظمة عن المشرق؟

وسيكون الجواب محل اجتهاد هنا ومحاولة استقرائية لتعليل ذلك، وربما يكون هذا راجع لسببين هما:

(١) انظر: عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٩.

١- أن روسيا لم تنهض وتتطور ثقافيًّا وفكريًّا إلا بعد وصول «**بطرس الأول**» إلى السلطة والذي حاول تغيير وجه روسيا الثقافي، والحضاري، والفكري، وحاول تقليد أوربا في دراستها للشرق ومحاولتها السيطرة عليه، ليعمل كما عملوا في السيطرة على الدول الإسلامية المحيطة بدولته ومحاربتها خاصة الدولة العثمانية، فأنشأ الدراسات الاستشراقية على النمط الغربي.

٢- أن الروس أهملوا دراسة الثقافة الشرقية لعدائهم التاريخي لها؛ لأنهم كانوا يكرهون المسلمين وثقافتهم بسبب الحروب الكثيرة التي وقعت بينهم خاصة أيام الدولة العثمانية، لذلك لم يوجد مختصين بالدراسات الشرقية في تلك الفترة.

وكانت معلومات الروس عن الإسلام والمسلمين قبل ظهور الاستشراق الأكاديمي عندهم من طريقين اثنين هما:

١- ما نقل مترجماً إلى اللغة الروسية عن الإسلام وأهله، وكان منقولاً عن لغات أوربية ومترجماً عنها، ومعظم تلك الكتابات كانت غير منصفة للإسلام وساعية إلى تشويهه وأهله، وهذا أوجد لدى الروس نظرة قائمة عن الإسلام من خلال تلك الكتابات المسيئة له، فأضافت تلك النظرة إضافة أخرى لما كان تراكم عندهم من حقد على المسلمين، وكره لهم بسبب حروب التتر المسلمين معهم.

٢- عن طريق المؤلفات العربية التي ترجمت إلى اللغة الروسية منقولة من اللغات الأوربية مثل كتاب «كليلة ودمنة»؛ مما جعل حكايات هذا الكتاب منتشرة داخل المجتمع الروسي، ويتناقلونها بينهم للحديث والتسلية.(١)

وكما نرى كانت معلومات الروس عن المسلمين ضعيفة وهشة، وجاءت عن طريق وسيط وهذا مما أضعف أثرها عليهم، بل وغالباً ولدت أفكاراً سلبية لديهم

(١) انظر: عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٥٢-٥٥.

عن المسلمين والإسلام؛ لأنها منقولة عن شخص آخر يفكر غير تفكيرهم، ويحمل معظم من نقلوا كرهاً للإسلام والمسلمين، وهو ما يسمى بالمستشرق الأوربي، فكانت نظرة الروس للإسلام هي انعكاس لنظرة المستشرق المتعصب الأوربي.

وبالمقابل كان هناك قلة في الأبحاث عند المسلمين حول الاستشراق الروسي، فنجد أن المؤلفات والكتابات حول الاستشراق الروسي شحيحة ونادرة مقارنة بالكتابة حول الاستشراق الغربي، واستطيع أن أرجع ذلك لأسباب عديدة منها:

١- أن معظم بلدان العالم الإسلامي قد قاطعت وابتعدت عن الروس «الاتحاد السوفييتي» سابقاً بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لأنهم معادون للدين ومحاربون له، ويسعون من خلال الأحزاب الشيوعية العاملة في تلك البلدان إلى القيام بثورات تُغير أنظمة الحكم، وتُبدل الأنظمة الاقتصادية إلى نظام اقتصادي اشتراكي تصبح فيه الحكومة مسيطرة على آليات وموارد الإنتاج.

٢- أن معظم الذين أعجبوا بالفكر الروسي والثقافة الروسية في العالم الإسلامي هم من الشيوعيين، الذين ينظرون للتراث الإسلامي نظرة انتقاص واحتقار، وهذا جعلهم لا يهتمون بالدراسات الاستشراقية الروسية حول الإسلام والمسلمين.

٣- أن اللغة الروسية لغة صعبة مقارنة باللغات الأوربية المعاصرة، وهذا جعل المتعلمين لهذه اللغة قلة، بالإضافة إلى أنها ليست لغة متداولة خارج بلدانها كالإنجليزية التي يسعى الجميع لدراستها لأنها لغة عالمية.

٤- أن الأوربيين أنفسهم لم يعيروا المدرسة الاستشراقية الروسية بالاً، فلم يترجموا كثيراً من مؤلفات المستشرقين الروس إلى لغاتهم الأوربية؛ مما يجعل هناك غياباً للمدرسة الروسية لدى المهتمين بالاستشراق من أبناء العالم الإسلامي العارفين بتلك اللغات الأوربية.

المبحث الثاني

أبرز مزايا المدرسة الاستشراقية الروسية

تميزت المدرسة الروسية الاستشراقية بمزايا ميزتها عن بقية المدارس الاستشراقية، وهذه أبرز تلك المزايا:

١- أن المدرسة الروسية الاستشراقية تعتبر من أواخر المدارس الاستشراقية ظهوراً، وهذا جعلها تبدأ بداية قوية؛ لأنها استفادت من خبرات ودراسات المدارس الاستشراقية الأوربية السابقة وكانت قد استعانت في بداية ظهورها الأكاديمي بخبراء من المدرسة الألمانية الاستشراقية قاموا بتأسيس أقسامها الشرقية، وتأهيل طلابها تأهيلاً علميًّا، فمثلاً جامعة «**قازان**» استعانت بالمستشرق الألماني «**فران**»(١) والذي ظل يعمل بها منذ أول سنة من تأسيسها لمدة عشر سنوات، وحاول تخريج طلاب قادرين على الدراسة والبحث في مجال اللغة العربية التي درسهم إياها على مدى تلك السنوات العشر، وكذلك وجه اهتماماتهم للمسكوكات الشرقية، والتي كان بارعاً في فهمها، ومختصًّا بالكتابة عنها، والمستشرق الألماني «**بيرندت**»(٢) هو أول من درَّس في جامعة «**خاركوف**» سنة ١٨٠٥م، ثم جاء بعده مستشرق ألماني آخر اسمه «**روميل**»(٣) ثم جاء مستشرق ألماني آخر هو

---

(١) فران: مستشرق ألماني الأصل، ولد سنة ١٧٨٢م، وتخرج من جامعاتها، وذهب إلى التدريس في جامعة قازان سنة ١٨٠٧م، وأنشأ القسم العربي فيها، توفي سنة ١٨٥١م. انظر: العقيقي. المستشرقون.ج٣. ص٦٨.

(٢) بيرندت: مستشرق من أصل ألماني، درس المرحلة الجامعية في ألمانيا، ثم جاء أستاذاً في جامعة "خاركوف" سنة ١٨٠٥م، وهو أول من درس في تلك الجامعة .انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٧٣-٧٤.

(٣) روميل: مستشرق من أصل ألماني، ولد سنة ١٧٨١م، درس في ألمانيا حتى تخرجه من الجامعة، ثم جاء يعمل في جامعة "خاركوف"، ترك عدداً من الدراسات حول الجزيرة العربية والعرب، توفي سنة ١٨٥٩م. انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٧٤.

«**دورن**»[(١)] وقضى ست سنوات معلماً بتلك الجامعة .[(٢)]

وهكذا نجد الألمان بخبرتهم الأكاديمية، وجهودهم العلمية قد أسسوا مدرسة استشراقية على الطريقة الألمانية والتي كانت الجدة أهم ملامحها.

٢- الاستشراق الروسي يختلف عن الاستشراق الأوربي في نظرته للشرق فالغربيون ينظرون للشرق وأهله نظرة استعلاء عليهم وازدراء لهم، وهذه لم تكن موجودة في الاستشراق الروسي الذي حاول أن يطرح كتاباته من خلال رؤية علمية ونتائج تعلوها النزاهة الظاهرة، فاستفادت المدرسة الاستشراقية الروسية من خطأ المدارس الأوربية الاستشراقية في أحكامها المسبقة على المسلمين، وفي محاولة تشويه المنجز الديني والحضاري والثقافي لهم، فكانت الدراسات الروسية فيها شيء من العقلانية، والبوح الصريح بما تحويه تلك الثقافة المسلمة من إبداع.

٣- أن الروس كانوا يدرسون الشرق المسلم وهو يعيش بينهم، حيث كانت معظم ولايات روسيا الجنوبية سكانها هم من المسلمين بعد ضمهم تلك الولايات إلى الجانب الروسي، فأصبح الإسلام جزءاً من الدولة الروسية وينتسب كثير من شعبها إليه، وهذا جعل الدراسات الروسية عن الشرق وأهله فيها نوع من الحميمية؛ لأن هذا الذي يُدرس يعيش بين أظهرهم ويتواجد بينهم، بخلاف المجتمع الأوربي الذي لم يكن يحوي أقليات تاريخية مسلمة في معظم بلدانه إلا بلاد يوغسلافيا سابقاً والتي كانت تحتوي أقلية مسلمة تاريخية، وكذلك ألبانيا وهذه لم تُعرف بدراسات استشراقية بارزة ومعروفة، لذا كانت الدراسات الأوربية عن الإسلام وأهله كائنة كدراسة عن بعد، وليس من رأى كمن سمع.

---

(١) دورن: مستشرق ألماني الأصل، ولد سنة ١٨٠٥م، جاء إلى روسيا وصار أستاذاً في جامعة "خاركوف" لمدة ست سنوات ، ودرس في جامعات روسية أخرى، وصار عضواً في الأكاديمية الروسية، توفي سنة ١٨٨١م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧١.

(٢) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٧٣-٧٥.

فصارت المدرسة الروسية شرقية بمقاييس الاستشراق الغربي، وغربية بمقاييس المسلمين، ومن هنا كانت مدرستها مختلفة عن المدارس الغربية، حيث صارت مدرسة شرق غربية.[١]

٤- ركزت المدرسة الاستشراقية الروسية بحكم تأثرها بالشيوعية، والتي تتعامل مع العقل دون إيمان بالغيبيات على المدرسة العقلية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي؛ لأنها مدرسة تتناسب مع إيمان الروس المطلق بالمحسوسات فقط دون الجانب الغيبي، فركزوا في دراساتهم وأبحاثهم على المعتزلة كفرقة من الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي تعلي شأن الجانب العقلي، والتي جعلت العقل له الحكم على فعل أو قول بأنه حسن أو قبيح، وأوجد هؤلاء المعتزلة ما يسمى عندهم بـ«**التحسين والتقبيح العقلي**» وكذلك ركزت المدرسة الروسية في دراساتها الأدبية على الشعراء الذين كانت تثار أقوال عن إلحادهم وزندقتهم مثل «**أبو العلاء المعري** »، وفي الأدب الحديث تم التركيز على «**الرصافي**»، و «**الزهاوي**»، و «**عبدالرحمن الشرقاوي**»، وغيرهم ممن كانت لهم ميول إلحادية، أو إعجاب بالشيوعية.

٥- أن منطقة الشعوب المسلمة، والتي انضمت إلى الدولة الروسية كانت تحوي عدداً كبيراً من المخطوطات الإسلامية والعربية، وهذا سهل على الاستشراق الروسي جمعها، والاحتفاظ بها ودراستها، وتحقيقها[٢]، بخلاف الاستشراق الغربي والذي كان يقوم بجولات في بلدان الشرق المسلم لجمع تلك المخطوطات وجلبها إلى مكتبات أوربا.

٦- اهتمت المدرسة الاستشراقية الروسية بالآداب الشرقية عموماً، والأدب العربي خصوصاً[٣]؛ وذلك لأنها لا تعير اهتماماً للكتابات حول الدين، لأنهم ملاحدة

(١) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٢٣.
(٢) انظر: د. عبدالرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٢٦٢.
(٣) انظر: د. إبراهيم عبد الفتاح رمضان. المستشرقون والبلاغة: كراتشوفسكي نموذجاً. ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه. ١٤٣٨هـ. جامعة القصيم. ج١.ص٧١٣.

لا يعترفون بها، فلذلك ركزت المدرسة الاستشراقية الروسية على الكتابات الأدبية بجميع فنونها شعراً ونثراً وقصة، ورواية.

٧- اهتمت المدرسة الاستشراقية الروسية بتحقيق المخطوطات، وخاصة في مجال الأدب واللغة لسببين من وجهة نظري:

أ- هناك تصادم بين ما جاء به الإسلام كدين وبين ما تقوم عليه الشيوعية، فالشيوعيون ينظرون للدين وما كتب حوله على أنه رجعية وتخلف، فأهملوا الكتابة حوله فلذلك قل إنتاجهم الفكري حول الإسلام وعقائده وفقهه، وركزوا على تحقيق مخطوطات الأدب واللغة؛ لأنها هم إنساني مشترك بين البشر جميعاً.

ب- هذه المخطوطات كانت موجودة في البلدان المسلمة التي دخلت تحت حكم الروس، وهذا سهل تواجدها بين أيديهم، وسهولة تحقيقها، ودراستها، وسبب احتفاظ مسلمي هذه الولايات بتلك المخطوطات، أنهم كانوا يكتبون بالحروف الأبجدية العربية، حتى جاء الروس وغيروا حروف الكتابة العربية إلى أبجدية تسمى «كيريلتسا»، فبقيت هذه المخطوطات محفوظة دون القدرة على قراءتها بعد اختلاف الأبجدية التي كتبت بها، فجاء المستشرقون الروس ووجدوا هذه المخطوطات محفوظة لدى هؤلاء المسلمين الذين يحتفظون بها دون فهم لها، أو قدرة على قراءتها فأخذوها وحققوا ونشروا بعضاً منها.

٨- الاهتمام أيام الحكم القيصري بمناطق بلاد الشام؛ وذلك لوجود الكنائس الأرثوذكسية وأتباعها من نصارى الشام، حيث يشتركون مع الروس في كنيسة واحدة وهي الكنيسة الأرثوذكسية، فنشأت الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الأرثوذكسية بدعم ومساعدة من الحكم القيصري في روسيا، وكانت هذه الجمعية تخدم بلاد نصارى أرثوذكس فلسطين، وسوريا، ولبنان، وكتبوا حول أوضاع هؤلاء النصارى كتباً، ومن ذلك كتاب «**وضع المسيحيين في**

المشرق العربي» للمستشرق الروسي «**ماشانوف**» وكتاب «**حقوق النصارى بحسب الشرع الإسلامي**» للمستشرق الروسي «**جيرجاس**»[(١)].

٩- ركز الاستشراق الروسي على الشخصيات الثورية في التاريخ الإسلامي مثل **بابك الخرمي**، و**المقنع**، واعتبر ثورتهم هي ثورة ضد الإقطاع المتمثل بالدولة العباسية، وهذا يخدم التفسير الماركسي للتاريخ المتمثل بصراع الطبقات، بين طبقة العمال والطبقة الإقطاعية[(٢)]، وكذلك ركز على الشخصيات التي تتماهى مع الفكر الشيوعي الملحد مثل كتاب المستشرق الروسي «**كريميسكي**»[(٣)] عن الشاعر الزنديق **أبان بن لاحق**.[(٤)]

١٠- اهتم الاستشراق الروسي باللهجات المحلية، فدرس الروس اللهجات العربية، وألفوا فيها مثل كتاب «**الأمثال العربية المسجلة في دمشق**» للمستشرق الروسي «**جوردليفسكي**[(٥)]»[(٦)].

١١- اهتم الاستشراق الروسي بدراسة الأعراق التي يتكون منها المجتمع المسلم، مثل تركيزهم على دراسة الأكراد في الدول القريبة من روسيا في العراق، وإيران، وتركيا، وسوريا، وذلك لأغراض سياسية مثل كتاب «الكرد» للمستشرق الروسي «**نيورسكي**» واهتم المتحف الآسيوي بدراساته الاثنية المنظمة والمبرمجة عن الشعب الكردي، وكتبوا من خلال معهد

(١) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة".ص٦١.

(٢) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة".. ص١٢٩.

(٣) كريمسكي: مستشرق روسي ولد في أوكرانيا سنة ١٨٧١م، وتخرج من جامعة موسكو، كان كاتباً وشاعراً، توفي سنة ١٩٤١م.انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٨١.

(٤) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٨٢.

(٥) جوردليفسكي: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٧٦، كان عضواً في مجمع العلوم، له عدد من المؤلفات، توفي سنة ١٩٥٦م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣.ص٨٣.

(٦) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص١٢٩.

«الإثنوغرافيا» الذي افتتح في جامعة «لينينغراد» عن عرب العراق، وموارنة لبنان، وأكراد إيران، مثل كتاب «البربر والعرب في تاريخ شعوب الجزائر» للمستشرق الروسي «**تشوراكوف**» وكتاب «الفرس بين الشعراء العرب في العصر الأموي» للمستشرق الروسي «**ايرمان**».[١]

١٢- اهتم الاستشراق الروسي بالكتابة عن الفرق التي ظهرت في التاريخ الإسلامي مثل الإسماعيلية، والفاطمية، والبهائية، وإظهارها على أنها فرق متمردة على الإسلام، وثائرة عليه، مثل كتاب «**الإسماعيلية**» و«**القرآن في نظر الإسماعيلية**» وهما للمستشرق الروسي «**سيمينوف**»[٢]، وكتاب «**عقيدة الفاطمية**»، وكتاب «**الإسماعيلية قبل الفاطمية**» وهما للمستشرق الروسي «**إيفانوف**»[٣]، وكتاب «**البهائية**» للمستشرق الروسي «**زوكوفسكي**[٤]».[٥]

**

(١) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة".ص١٣٧.

(٢) سيمينوف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٧٣م، تخرج من كلية لازاريف، تخصص كثيراً في وصف المخطوطات الشرقية وفهرستها الموجودة في مكتبات الجامعات الروسية،وتوفي سنة ١٩٥٨م.انظر: العقيقي.المستشرقون.ج٣.ص٨٢-٨٣.

(٣) إيفانوف : مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٨٦م، تخصص في دراسة الطائفة الإسماعيلية فكتب عنها، وله مباحث كثيرة حول إيران، وتركيا، توفي سنة ١٩٧٠م.

(٤) زوكوفسكي: مستشرق روسي ولد سنة ١٨٥٨م، كان يجيد الفارسية، وكتب عن التصوف الفارسي، توفي سنة ١٩١٨م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٧.

(٥) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة".ص١٤١-١٥٧.

المبحث الثالث

أشهر أعلام المدرسة الاستشراقية الروسية

١- كراتشوفسكي:١٨٨٣-١٩٥١م:

هو أشهر المستشرقين الروس وأكثرهم غزارة إنتاجية أدبية وفكرية، ولد سنة ١٨٨٣م في مدينة «**فلنا**» في جمهورية «**ليتوانيا**»، عاش طفولته في «**طشقند**» فتعلم اللغة الأوزبكية، وتأثر بالبيئة الإسلامية هناك حيث عاش في وسط إسلامي، ولقد تعلم اللغة العربية بنفسه من دون معلم، والتحق عام ١٩٠١م بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبيرج، وتخرج منها وأكمل دراسته العليا، فحصل على الماجستير في بحث عنوانه «**أبو الفرج الوأواء الدمشقي: دراسة لخصائص إنتاجه الشعري**»، وفي عام ١٩٠٧م، اجتاز الامتحان الشفوي للتأهل للتدريس في جامعة سان بطرسبيرج، وفي عام ١٩٠٨م حصل على منحة دراسية تمكنه من القيام برحلة إلى الشرق المسلم زار فيها (إسطنبول، وسوريا، ولبنان، ومصر) ومكث شتاءين في لبنان أجاد فيها اللهجة اللبنانية، ثم رحل إلى مصر يتردد على مكتباتها ويقابل أعلامها، ثم عاد إلى بطرسبيرج بعد أن كون صداقات مع أشهر أدباء وأعلام بلاد الشام ومصر، وأكمل مسيرته التعليمية في الجامعة حتى بعد قيام الثورة البلشفية، وبالإضافة لعمله في الجامعة أستاذاً للعربية ومشرفاً على القسم الشرقي فيها، صار مديراً للقسم الإسلامي في المتحف الآسيوي، ثم عمل رئيساً للكلية الشرقية بجامعة موسكو في عام ١٩٢١م، و صار عضواً في أكاديمية العلوم الروسية في قسم التاريخ واللغات، ثم صار عضواً في جمعية المستشرقين، وصار عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٣م.

ولقد قام كراتشوفسكي بنشر النصوص العربية القديمة مثل «**رسالة الملائكة**» للمعري، وكتاب «**البديع**» لابن المعتز، ورسالة المعري عن المتنبي المسماة «**معجزة أحمد**»، وكتاب «**الأخبار الطوال**» للدينوري.

وقام بترجمة بعض كتب التراث الإسلامي إلى الروسية مثل ترجمة «**رسالة الملائكة**» للمعري، و«**قصائد الشنفرى**»، وكتاب «**الاعتبار**» لأسامة بن منقذ.

واهتم بالأدب العربي الحديث فترجم «**الأيام**» لطه حسين، وترجم أشعاراً لأمين الريحاني، والجانب الأهم في ترجماته هو ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الروسية.

أما الجانب التأليفي لكراتشوفسكي فهو مجال واسع ووفير، حيث بلغ مجموع ما ألفه وكتبه قرابة ستمائة بحث ما بين مقالة وكتاب، فلا يكاد فرع من فروع علوم العربية وآدابها لم يكتب فيه، أو يتحدث عنه مؤلفاً، أو ناقداً، أو مترجماً، ومن أبرز مؤلفاته: «**تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب**» والذي نشرته جامعة الدول العربية عام ١٩٦٣م، و«**المتنبي وأبو العلاء المعري**»، و«**الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث**»، و«**أبو حنيفة الدينوري**»، و«**خصائص الإبداع الشعري**»، و«**حول المخطوطات العربية**».

وقد تم جمع ما كتبه كراتشوفسكي في ست مجلدات كبيرة كأعمال مختارة لأشهر أبحاثه ومؤلفاته، وهي مؤلفات متنوعة في شتى دروب المعرفة والعلم الخاصة بالشرق قديمه وحديثه، وبذلك كان كراتشوفسكي قامة علمية مهمة بين المستشرقين الروس، ولقد توفي عام ١٩٥١م.(١)

٢- كريمسكي:

مستشرق روسي ينحدر من أصول تترية، ولد سنة ١٨٧١م، في أوكرانيا، تخرج من قسم اللغات السلافية الروسية في كلية اللغات بجامعة موسكو عام ١٨٩٢م،

---

(١) انظر: د. عبد الرحمن بدوي. موسوعة المستشرقين. ص٤٦٨-٤٧١، و د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي.ص١٩٧-٢٠٥.و د. عبد الرحمن العطاوي. الاستشراق الروسي. ص١٤٧-٢٤٧، و د. إبراهيم عبد الفتاح رمضان. المستشرقون والبلاغة: كراتشوفسكي نموذجاً. بحث ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه. جامعة القصيم. ط١. ص٧٠٥-٧٤٤، د. نجيب العقيقي.المستشرقون. ج٣.ص٨٣-٩٠.

ثم دخل معهد لازاريف للغات الشرقية في موسكو، وفي عام ١٨٦٩م، ناقش رسالته العلمية تحت عنوان «**ترجمة وتفسير رسالة الفارابي: المسائل الأساسية للفلسفة**» وبعدها صار أستاذاً للغة العربية، ثم ابتعث إلى بلاد الشام لدراسة العربية ومكث فيها سنتان، واستفاد من هذه الرحلة في تعميق اللغة العربية، وفي الكتابة عن العرب وتراثهم وآدابهم.

وكان يلقي محاضراته في«**معهد لازاريف** » للدراسات الشرقية والذي سُمي بعد ذلك باسم «**معهد الاستشراق**»منذ عام ١٨٩٨م، حتى عام ١٩١٨م، وتخرج تلامذة نوابغ من مستشرقي الروس على يديه منهم : **بارانوف**(١)، **كوفالنسكي**(٢) وغيرهما، حتى وصف بأنه أول من أرسى أسس الدراسات العربية في روسيا، فأخذ ينشر سلسلة الأبحاث الروسية والأوربية التي حققها أو جمعها، أو علق عليها، أو كتب مقدمتها وهي الأعمال التي عنونها «**سلسلة أعمال حول الاستشراق**» وهي سلسلة متعلقة بقضايا حول الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية من فارسية وتركية وغيرها.

ومن أعماله في الترجمة: قام بترجمة أدبية عن « **أشعار عنترة بن شداد**» **و** « **أشعار المعري** »، وترجم عن الفارسية «**أشعار الفردوسي** »، و« **أشعار سعدي** »، و« **أشعار عمر الخيام** »، و«**أشعار حافظ الشيرازي** »، ومن التركية ترجم (**شعر مهري خاتون**)، وترجم كتاب «**ألف ليلة وليلة**» للروسية.

ومن مؤلفاته: كتابه عن التصوف بعنوان «**موجز تاريخ وتطور التصوف** »، وكتاب «**الإسلام ومستقبله**»، وكتاب «**محاضرات حول القرآن** »، وكتاب «**تاريخ**

---

(١) بارانوف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٩٢م، تخرج من معهد لازاريف، وتخصص في اللغات العربية ، الفارسية ، التركية، صار رئيساً لمعهد العلوم الشرقية. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٧.

(٢) مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٩٥م، كانت رسالته للدكتوراه عن رحلة ابن فضلان سنة١٩٥٠م، توفي سنة ١٩٦٩م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٨-٩٩.

الأدب العربي الحديث: القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين»، وكتاب «**تاريخ الإسلام** » في ثلاثة مجلدات، وكتاب «**تاريخ فارس وآدابها والدروشة الصوفية** » في ثلاثة مجلدات، وكتاب «**تاريخ الأدب العربي الروحي والدنيوي**» وصدر في ثلاثة مجلدات.

ولقد نشر كريمسكي ما يقارب ١٥٠٠ بحث بمختلف الأحجام والجوانب في قضايا الإسلاميات والاستشراق، واللغات الشرقية.

«ولقد انتصر في أبحاثه للإسلام، وقال بأن الإسلام كدين يسعى للإصلاح الأخلاقي والروحي، وأقر بأن أصالة الإسلام لا تستحق الجدل و البحث، باعتبارها أساساً مفروغاً منه».(١)

ويعتبر من أعمق من كتب عن التصوف من المستشرقين الروس وذلك في كتابه الآخر حول التصوف «**تاريخ التصوف وتطوره حتى القرن الثالث الهجري**» ، وكتابه الذي سبق ذكره وهو «**موجز من تاريخ وتطور التصوف**».

ولقد جرى اتهامه سنة ١٩٢٠م بالنزعة القومية وذلك لأصوله التترية، وتم إبعاده عن الحياة الأكاديمية حتى أعيد إليه اعتباره عام ١٩٣٦م، وجرى إعادته للعمل الأكاديمي، والإشراف على الرسائل العلمية، ثم تم سجنه عام ١٩٤١م، بتهمة العمل لصالح الحركات القومية الأوكرانية، حيث توفي في مستشفى السجن في تلك السنة وعمره ٧٠ عاماً. (٢)

٣- بارتولد فاسيلي فلاديميروفتش:

مستشرق روسي ولد سنة ١٨٦٩م، من عائلة ثرية تعمل في مجال البورصة والمال، وهو من أكبر المستشرقين المختصين في شؤون آسيا الوسطى، وترجع

---

(١) د. ميثم الجنابي.الاستشراق والاستعراب الروسي. ص١٧٨.

(٢) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٨١-٨٢، ود. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي.ص١٧٣-١٨١، د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص١١٩-١٢٨.

عائلته إلى أصول ألمانية، تخرج من كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبرغ عام ١٨٩١م، وحصل على الدكتوراه في رسالته «**تركستان في عهد الغزو المغولي** »، ثم صار أستاذاً في جامعة سانت بطرسبيرغ عام ١٨٢٩م، وكان يقوم سنويًّا برحلات إلى الشرق، **وحصل على لقب أكاديمي عام ١٩٣١م، باختصاص** «**أدب وتاريخ الشعوب الآسيوية** »، وترأس عام ١٩١٧م هيئة المستشرقين التابعة للمتحف الآسيوي، وكان من مهامها إنشاء أبجدية لشعوب روسيا التي لا تمتلك أبجديتها الخاصة، كما قامت باستبدال الأبجدية العربية بالكيريلية الروسية.

اهتم بدراسة المخطوطات الشرقية فسافر إلى إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، وتركيا وغيرها، بالإضافة إلى زيارته للمكتبات الوطنية في موسكو، وباكو، وطشقند، ولينغراد، وأصدر وصفاً دقيقاً لأكثر من خمسمائة مخطوطة عربية، وتركية وفارسية، ولقد ترأس مجلة «**عالم الإسلام**» من عام ١٩١٢-١٩١٣م، ومجلة «**العالم الإسلامي**» عام ١٩١٧م، و«**منشورات هيئة المستشرقين**» من ١٩٢٥-١٩٣٠م.

ومن أبرز مؤلفاته: بلغ مجموع ما كتبه فاسيلي ما يزيد على أربعمائة عنوان ما بين كتاب، ومقالة، و بحث وترجمة، منها :«**نشوء امبراطورية جنكيز خان**»، و«**تاريخ وجغرافية إيران**»، و«**تاريخ الحياة الثقافية في تركستان**»، و«**الخليفة والسلطان**»، و«**محاضرات حول تاريخ الشعوب التركية في آسيا الوسطى**»، و«**الحضارة الإسلامية**»، و«**الإسلام**»، و«**العالم الإسلامي**»، و«**العمارة الإسلامية**» وغيرها، ولقد جمعت أعماله الكاملة بتسع مجلدات طبعت فيما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي ما بين عام ١٩٦٣-١٩٧٧م.

أبرز آرائه: لقد ظهرت آراء خاصة لهذا المستشرق حول الثقافة الإسلامية وحضارتها، وقد تكون هذه الآراء محل جدل ونقاش، لكن تبقى آراء لها قيمتها،

سواء اختلفنا معها، أو اتفقنا عليها، أو على بعضها، وهي تدل على قراءة عميقة لتلك الثقافة الشرقية، ومحاولة ربطها بالواقع الذي نعيشه، ومن هذه الآراء:

١- نقده للرأي الذي يقول بأن إيران بعد سيطرة المسلمين عليها انحطت فيها الثقافة، وأدت إلى تخريب بلاد فارس.

ولقد رد «**فاسيلي**» على هذا الرأي وفنده، وبين أن إيران لم تصب بالتخلف والانحطاط في ظل السيطرة عليها، بل على العكس، فلقد تم تطوير الحياة المدنية في إيران، وكذلك الثقافة المدنية، وكانت المدن التي ظهرت في ظل السيطرة الإسلامية تفوق بمراحل المدن القديمة في تلك البلاد.[(١)]

٢- انتقد النقد الموجه إلى الدولة العثمانية، وأنها سبب انحدار الثقافة والحضارة الإسلامية، بل بين أن القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كانا من النجاحات الكبرى للأمة الإسلامية، والتي دمرت فيها «بيزنطية» وحاصرت مدينة «فينيا».[(٢)]

ولقد توفي هذا المستشرق عام ١٩٣٠م.[(٣)]

* *

---

(١) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص١٨٦-١٨٧.

(٢) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي.ص١٩٤-١٩٥.

(٣) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٩-٨٠، ود. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص١٨٢-١٩٦، ود.عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي . ص١٢٨-١٤٦.

المبحث الرابع

جهود المستشرقين الروس العلمية حول التراث الإسلامي

المطلب الأول : التأليف:

قام المستشرقون الروس بتأليف كتب متعددة ومتنوعة عن المشرق الإسلامي، ومن أبرز هذه المؤلفات:

١- كتاب «**النحو العربي**» للمستشرق الروسي «**بولديريف**[(١)]».

٢- كتاب «**المصادر الإسلامية وعلاقة الدين الإسلامي بالتمدن**» للمستشرق الروسي «**بيريزين**»[(٢)].

٣- كتاب «**حقوق النصارى بحسب الشرع الإسلامي**» للمستشرق الروسي «**جيرجاس**»[(٣)].

٤- كتاب «**فلسطين منذ الفتح العربي حتى الحروب الصليبية بالاستناد إلى المصادر العربية** » ويقع في أربعة أجزاء، للمستشرق الروسي «**ميادنيكوف**»[(٤)].

---

(١) بولديريف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٧٨٠م، تخرج من جامعة موسكو سنة ١٨٠٦م، ودرس في باريس على يد المستشرق الفرنسي «دي ساسي»، درَّس في جامعة موسكو وتولى رئاستها، نشر معلقتي الحارث حلزة، وعنترة بن شداد، توفي سنة ١٨٤٣م. انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون.ج٣.ص٦٧-٦٨.

(٢) بيريزين: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨١٨م، درس اللغات الشرقية بجامعة قازان، سافر إلى الشرق وزار بلاد فارس و آسيا الوسطى، وبلاد الشام، ومصر، واستمرت رحلته ٣ سنوات، تولى إدارة المطبوعات الشرقية في قازان حتى وفاته سنة ١٨٩٦م. انظر العقيقي. المستشرقون. ج٢. ص٧٣.

(٣) جيرجاس: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٣٥م، وتخرج من كلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبرج، زار بلاد الشام ومصر، ومكث فيها ثلاث سنوات، درس في جامعة بطرسبرج، ويعد أول مؤسس للدراسات العربية الحديثة بتلك الجامعة، توفي سنة ١٨٨٧م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٤-٧٥.

(٤) ميادنيكوف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٥٥م، كان متضلعاً بالعربية، كان رئيس كرسي اللغة العربية في الكلية الشرقية بجامعة بطرسبرج، توفي سنة ١٩١٨م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٦-٧٧.

٥- كتاب «**بيزنطة والعرب**» يقع في ثلاثة أجزاء، من تأليف المستشرق الروسي «**فاسيليف**»(١)وترجمه المؤلف إلى الفرنسية، ونقل جزءاً منه إلى العربية الدكتوران فؤاد حسنين علي، وعبد الهادي شعيرة سنة ١٩٥٦م.

٦- كتاب «**تاريخ الشرق القديم**» في جزئين، وكتاب «**الأدب المصري القديم**» وكتاب «**مصر القديمة**»، وهي من تأليف المستشرق الروسي «**توارايف**»(٢).

٧- كتاب «**العالم الإسلامي ومستقبله**»، وكتاب «**تاريخ الإسلام**» في جزئين، وكتاب «**الأدب العربي الحديث في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**»، وهذه للمستشرق الروسي «**كريمسكي**».(٣)

٨- كتاب «**نشأة وتطور الأدب العربي الحديث**»، وكتاب «**الأدب العربي**»، وكتاب «**تاريخ الدراسات العربية في الاتحاد السوفييتي**» للمستشرق الروسي المشهور «**كراتشوفسكي**».(٤)

٩- كتاب «**القاموس العربي الروسي معتمداً على النصوص الحديثة من سنة ١٨٨٠م إلى ١٩٤٠م**» وهو تأليف المستشرق الروسي «**بارانوف**»، وقد مكث في تأليفه ٢٠ عاماً، ولم يصدر في الغرب من طرازه.

هذه أبرز الكتب والمؤلفات التي ألفها المستشرقون الروس حول المشرق الإسلامي، ذكرتها كنماذج وأمثلة لتأليفهم عن المشرق الإسلامي، وهناك الآلاف من المؤلفات والكتب التي ألفوها كل في مجاله حول الشرق الإسلامي.

---

(١) فاسيليف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٦٧م، كتب مؤلفات عديدة، ودراسات منشورة منها «دراسات عن شارلمان وهارون الرشيد» و«مشكلة القرم في العصر الوسيط»، توفي سنة ١٩٥٣م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٨.

(٢) توارايف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٦٨م، تخرج من جامعة بطرسبرج سنة ١٨٩١م، وصار أستاذاً للفارسية والتركية ، والعبرية، والحبشية القديمة، أسس مركز الدراسات لحضارات سوريا القديمة وبلاد الرافدين ومصر الفرعونية والقبطية، وهو قسم الشرق القديم بمتحف بوشكين للفنون الجميلة في موسكو سنة ١٩١٢م، وتوفي سنة ١٩٢٠م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧٩.

(٣) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٨١.

(٤) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٨٧.

المطلب الثاني: الترجمة:

قام المستشرقون الروس بترجمة القرآن الكريم، وبعض كتب التراث الإسلامي، فنقلوها من إحدى لغات المشرق الإسلامي إلى لغتهم الروسية، أو نقلوها من لغة أوربية كانت مترجمة لها.

ترجمة القرآن الكريم:

قام المستشرقون الروس بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الروسية، ولقد كانت أول ترجمة ظهرت سنة ١٧١٦م، والتي نقلها المستشرق «**بوسنيكوف**» من ترجمة فرنسية يعود تاريخها إلى عام ١٦٤٧م، ثم في عام ١٧٩٠م، ترجم المستشرق الروسي «**نيريوفيكين**» نفس الترجمة الفرنسية لمعاني القرآن الكريم إلى الروسية، وفي عام ١٧٩٢م قام المستشرق الروسي«**كولماكوف**» بنقل ترجمة إنجليزية إلى الروسية، وفي عام ١٨٦٤م تمت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الروسية من خلال المستشرق الروسي «**نيكولاييف**» نقلاً عن ترجمة المستشرق البولوني «**كازيميرسكي**[1]» الفرنسية[2]، وأعيد طبع هذه الترجمة عدة مرات، لكن هذه الترجمة لم تسلم من تعصب «**نيكولاييف**» فجعل عنوان ترجمته «**قرآن محمد**»، بالرغم من أن الترجمة الفرنسية التي نقل عنها كانت تحمل عنوان «**القرآن**»، ثم بدأ المستشرقون الروس يترجمون بلا لغة وسيطة، فأصدر المستشرق الروسي «**بوكوسلافسكي**[3]» عام ١٨٧١م ترجمة مباشرة لمعاني القرآن الكريم من العربية

---

(١) كازيميرسكي: مستشرق بولوني، ولد سنة ١٨٠٨م، وتخرج من برلين، ورحل إلى الشرق من سنة ١٨٣٩-١٨٤٠م، وعاد واستقر في فرنسا، ترجم معاني القرآن الكريم إلى الفرنسية، وضع المعجم العربي الفرنسي في جزئين ، توفي سنة ١٨٨٧م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٢. ص٤٩٨-٤٩٩.

(٢) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٢.ص٤٩٩.

(٣) بوكوسلافسكي:مستشرق روسي، ولد سنة ١٨٢٦م، كان جنرالاً عسكريًا، درس في جامعة بطرسبيرج، وصار مترجماً في السفارة الروسية في إسطنبول، توفي سنة ١٨٩٣م. انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٢٧٨.

للروسية، لكن هذه الترجمة بقيت محفوظة ولم تطبع إلا متأخرة عام ١٩٩٦م[١]، وظهرت ترجمة أخرى لمعاني القرآن الكريم للمستشرق الروسي «**سابلوكوف**» وجاءت الطبعة باللغة العربية والروسية، فكانت صفحة لآيات القرآن الكريم بالعربية والصفحة المقابلة لترجمة معانيها إلى الروسية، ولا تخلو هذه الترجمات لمعاني القرآن من أخطاء نتيجة عدم تمكن أصحابها من إجادة العربية كأهلها، ولكن هذه الترجمة الأخيرة لـ «**سابلوكوف**» استمرت أكثر من ٨٠ سنة، وتعتبر مرجعاً لمسلمي بلاد الروس يفهمون بها القرآن.

ثم في مطلع القرن العشرين قام المستشرق الروسي «**كراتشكوفسكي**» بعمل ترجمة لمعاني القرآن الكريم أخذت منه جهداً استغرق أربعين عاماً، لذلك صدرت هذه الطبعة بعد وفاته بسنوات وذلك عام ١٩٦٣م، وتعتبر هذه الترجمة أجود ترجمات معاني القرآن الكريم إلى الروسية، ثم صدرت ترجمات أخرى في نهاية القرن العشرين لكنها إما غير حاوية لجميع سور المصحف الشريف، أو تعتمد على ترجمة «**كراتشكوفسكي**»، فظهرت ترجمة لمعاني القرآن الكريم على يد المستشرقة الروسية «**فاليريا بوروخوفا**» سنة ١٩٩٧م، وهي ترجمة اعتمدت فيها المؤلفة على ترجمة المستشرق الروسي الشهير «**كراتشكوفسكي**».[٢]

كذلك قام المستشرقون الروس بترجمة بعض كتب التراث الإسلامي ومنها:

١- المستشرق الروسي «**كوزمين**» ترجم «**حي بن يقظان**» سنة ١٩٢٠م لابن طفيل، و« **طوق الحمامة**» لابن حزم سنة ١٩٣٣م، و(**كليلة ودمنة**) سنة ١٩٣٤م.[٣]

٢- المستشرق الروسي «**كريمسكي**» ترجم « **ألف ليلة وليلة** »، سنة ١٩٠٤.[٤]

(١) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي.ص٢٧٨.
(٢) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٢٨١.
(٣) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٤٣٤.
(٤) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٤٣٤.

٣- المستشرق الروسي «**كراتشكوفسكي**» ترجم «**رسالة الملائكة**» للمعري سنة ١٩١٠م، و«**الأيام** » لطه حسين سنة ١٩٣٤م [١]، وديوان«**الوأواء**» للدمشقي سنة ١٩١٣م.[٢]

٤- المستشرق الروسي «**جريجوريبف**» ترجم إلى الروسية سنة ١٨٧٢م «**الرسالة الثانية في الجغرافيا**» لأبي دلف الينبوعي.[٣]

٥- المستشرق الروسي «**بوريسوف**» ترجم «**ثلاثية نجيب محفوظ**» عام ١٩٥٨م.[٤]

٦- المستشرق الروسي «**خانيكوف**» ترجم للروسية كتاب « **ميزان الحكمة**» للخازني.[٥]

٧- المستشرق الروسي «**بوكاكوف**» ترجم بمعاونة آخرين إلى اللغة الروسية كتاب « **القانون في الطب**» لابن سينا.[٦]

٨- المستشرقة الروسية «**دولينينا**» ترجمت « **قصص القاص المصري محمود تيمور**» إلى الروسية من١٩٥٦- ١٩٥٨م، وترجمت « **روايات جورجي زيدان**» سنة ١٩٦٩م. [٧]

هذه نماذج على بعض ما ترجمه المستشرقون الروس من تراثنا الإسلامي إلى لغتهم الروسية، توضح مدى اهتمام الروس بذلك التراث ومحاولة نقله إلى قومهم، ومد جسور التواصل الثقافي بيننا وبينهم.

---

(١) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٤٣٤. وكذلك ج٣. ص٨٤-٨٧.
(٢) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٤٢٢-٤٢٣.
(٣) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٥٢٦.
(٤) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٤٧٧، ص١١٢.
(٥) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٤٢٢.
(٦) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص١٠٩.
(٧) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص١٠٨.

المطلب الثالثً: التحقيق والنشر:

سعى الاستشراق الروسي إلى الاهتمام بتحقيق كتب التراث الإسلامي، والعناية بنشرها وإخراجها إلى النور بعد أن كانت مغمورة بين مخطوطات في زوايا المكتبات، ومن أهم كتب التراث الإسلامي التي حققها المستشرقون الروس ما يأتي:

١- كتاب « **الأخبار الطوال**» لأبي حنيفة الدنيوري، و كتاب « **رسالة الملائكة**» لأبي العلاء المعري، و« **ديوان أبو الفرج الوأواء**» الدمشقي، والكتاب يتألف من ٥٤٠ صفحة، منها ٣٧٨ صفحة دراسة عن الديوان وترجمته للروسية، و١٣٥ ورقة عبارة عن النص العربي لديوان الوأواء، وكتاب « **البديع** » لابن المعتز، وكتاب « **المجالسات**» للثعلبي، وقد حقق هذه الكتب ونشرها المستشرق الروسي الشهير «**كراتشكوفسكي**».[1]

٢- كتاب « **الملوك والخلفاء بدولة مكة الشرفاء**» لتقي الدين بن علي، حققه ونشره المستشرق «**أرومان**» سنة ١٨٢٢م.[2]

٣- كتاب « **الحقيقة الكبرى في المذهب الإسماعيلي**»، حققه ونشره المستشرق الروسي «**إيفانوف**» عام ١٩٥٦م.[3]

٤- كتاب « **الأعلاق النفيسة**» لابن رسته، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه ونشره المستشرق الروسي «**هامادوف**».[4]

---

(١) انظر: عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٣٧٦،ص١٧٠،ص١٧٤. وانظر العقيقي. المستشرقون. ج٣.ص٨٧.

(٢) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٦٩.

(٣) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٣.

(٤) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٧١.

المطلب الرابع: جمع المخطوطات وفهرستها:

قام المستشرقون الروس بجمع الكثير من مخطوطات التراث الإسلامي والمكتوبة بلغات متعددة من عربية، وفارسية، وتركية، واعتنوا بها في مكتباتهم وحفظوها، ولقد تم هذا الجمع بداية القرن الثامن عشر الميلادي عندما تم جمع بعض المخطوطات في أكاديمية بطرسبيرغ، وفي أوائل القرن التاسع عشر الهجري تم إنشاء «**المتحف الآسيوي**» سنة ١٨١٨م، فتم إيداع مخطوطات عديدة في هذا المتحف وصار بعد ذلك هناك اهتمام روسي مدروس في جمع المخطوطات، حتى أن المؤسسة العسكرية صارت تطالب في مقابل رفع الغرامات المخطوطات والتحف الأثرية[١] ، فصار هناك أعداد لا بأس بها من المخطوطات الشرقية موجودة في مكتبات الجامعات الروسية ومتاحفها.

وقد قام المستشرقون الروس برحلات إلى بلدان الشرق الإسلامي لجمع تلك المخطوطات، فهذا المستشرق الروسي «**إيفانوف**» ذهب برحلة إلى بخارى، وعثر على ١٠٥٧ مخطوطة، وسميت تلك المخطوطات باسم «**خزانة بخارى**»، وفي عام ١٩٣٤م تم جمع ١٢٠٠ مخطوطة من مناطق بشكيريا وتتاريا[٢]، وإن كانت جهود المستشرقين الروس في جمع المخطوطات وفهرستها لا يقارن بالمستشرقين الأوربيين من ألمان وبريطانيين، كذلك كانت أعداد المخطوطات لدى الجانب الروسي قليلة مقارنة بالأوربيين، فمكتبة «**معهد الاستشراق**» الذي يتخذ من موسكو مقرًّا له وهو ما كان يسمى سابقاً «**المتحف الآسيوي**» حيث تم تغيير اسمه سنة ١٩٣٠م، تحوي هذه المكتبة خمسة آلاف عنوان مخطوط باللغة العربية، تم جمع معظمها من بلدان آسيا الوسطى وبلاد القوقاز، وتتارستا.[٣]

---

(١) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٧٨.

(٢) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٨٠.

(٣) انظر: د. عبد الرحيم العطاوي. الاستشراق الروسي. ص٣٣٣.

ومن المستشرقين الروس الذين عملوا على فهرسة المخطوطات والاعتناء بها:

١- **برتلس**[١]: وهو الذي قام بوصف مخطوطات مجموعة «**باسيلبينسكي**» التي اقتناها المتحف الآسيوي عام ١٩٢٤م، وكذلك وصف مجموعة مخطوطات فارسية في هذا المتحف سنة ١٩٢٦م، ومجموعة المخطوطات الشرقية في مجمع العلوم الأوزبكية سنة ١٩٥٢م.[٢]

٢- **إيفانوف**: اهتم بالمخطوطات التي تتعلق بالطائفة الإسماعيلية، فنشر المخطوطات الإسماعيلية في المتحف الآسيوي، سنة ١٩٧١م، وفهرس المؤلفات الإسماعيلية سنة ١٩٣٩م.[٣]

٣- **كراتشوفسكي**: كتب عن المخطوطات العربية من القوقاز في القسم الآسيوي من متحف مجمع العلوم ، واشتغل بها من سنة ١٩٧١-١٩٣٦م، وفهرس مخطوطات البارون «**فون روزين**» في المتحف الآسيوي سنة ١٩١٨م، وفهرس لمخطوطات النصارى العربية في مكتبات لينينجراد ، والمخطوطات العربية في المكتبة العامة سنة ١٩٢٦م، والمخطوطات الشرقية في « **قصر كاترين الثانية** » سنة ١٩٢٩م، وغيرها الكثير.[٤]

٤- **سيمينوف**: اهتم بالمخطوطات كثيراً وكانت معظم أبحاثه ومنشوراته عنها، فوصف المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة آسيا الوسطى سنة ١٩٣٥م، والمخطوطات الشرقية في أوزبكستان عام ١٩٤٥م في مجلدين، والمخطوطات المزخرفة في مكتبة بخارى المركزية سنة ١٩٢٨م.[٥]

---

(١) برتلس: مستشرق روسي ، ولد سنة ١٨٩٠م، كان من أساتذة الكلية الشرقية في موسكو، وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق، اهتم بالمخطوطات، وتوفي سنة ١٩٥٧م. انظر العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٥-٩٦.

(٢) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٥-٩٦.

(٣) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٢-٩٣.

(٤) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٩٠-٩١.

(٥) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص٨٢-٨٣.

٥- **بليايف**[١]: اهتم بالمخطوطات الشرقية، حيث عين مديراً لقسم المخطوطات العربية في كلية الدراسات الشرقية بلينجراد، وهو من أكبر المختصين في المخطوطات العربية في روسيا، حيث فهرس المخطوطات العربية في بخارى سنة ١٩٣٢م، وكتب عن مجموعة البرديات العربية في لينجراد وموسكو، سنة ١٩٣٧-١٩٤١م، وكتب بحثاً عن المخطوطات العربية في المعهد الشرقي، وله مخطوطات يمنية في طشقند سنة ١٩٤٧م، وبحث بعنوان « **أحسن المخطوطات الشرقية في الكلية الشرقية** » سنة ١٩٥٣م، وكتب عن دراسة المخطوطات سنة ١٩٥٨م.[٢]

هؤلاء هم أبرز أعلام الاستشراق الروسي الذين كانت لهم اهتمامات وأبحاث حول المخطوطات الشرقية، وفهرستها.

المطلب الخامس: الرحلات:

قام الرحالة الروس برحلات إلى المشرق الإسلامي، كتبوا من خلالها عن بلدان المشرق الإسلامي ووصفوا أهلها وأحوالها الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية، وأبرز معالم حضارتها، وكانت هذه الرحلات ذات دوافع متعددة أهمها:

١- الدافع الديني والذي كان بارزاً في زيارتهم للقدس كمدينة مقدسة عند النصارى، وكذلك زيارتهم لمدينة القسطنطينية، والتي كانت مقراً لكنيستهم الأرثوذكسية قبل الفتح الإسلامي، حيث انتقلت الكنيسة الأرثوذكسية بعد ذلك إلى روسيا.

٢- الأغراض التجارية التي كانت تخدم هذه الرحلات وتكون باعثاً عليها، وذلك بتبادل السلع التجارية مع بلدان المشرق الإسلامي.

---

(١) بليايف: مستشرق روسي، ولد سنة ١٩٠٤م، تخرج من جامعة لينجراد سنة ١٩٢٠م، يعتبر من أشهر المختصين في المخطوطات العربية في روسيا، له أبحاث ومنشورات متعددة حول المخطوطات وفهرستها. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ١٠٦- ١٠٧.

(٢) انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص١٠٦.

٣- الاهتمام بدراسة أحوال النصارى الأرثوذكس في بلدان المشرق الإسلامي كسوريا، ولبنان وفلسطين، والعراق، ودراسة تعامل المسلمين معهم، ومعرفة أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، والدينية.

٤- الاهتمام بدراسة لهجات بلدان المشرق الإسلامي المحلية، مثل كتابات المستشرق الروسي «**فيلنشيك**[١]» والذي ألف قاموساً سماه «اللهجات السورية واللبنانية والفلسطينية».

٥- محاولتهم القيام بدراسات اجتماعية واقتصادية عن بلدان المشرق الإسلامي وشعوبها المسلمة.

٦- الاستفادة من هذه الرحلات بنقل المخطوطات والكتب من بلدان الشرق الإسلامي إلى مكتباتهم، وذلك عن طريق الشراء لتلك المخطوطات أو إهدائها لهم.[٢]

ومن أبرز رحلات هؤلاء المستشرقين:

١- **رحلة فارسونوفي** والذي قام برحلتين إلى الشرق، الأولى سنة ١٤٥٦م، والثانية بين عامي ١٤٦١- ١٤٦٢م، زار من خلالها القسطنطينية، وفلسطين، ومصر، وجبل سيناء، وكان مهتمًّا بالمواقع التي لها علاقة بالنصرانية وأساطيرها.[٣]

٢- **رحلة القديس** «**دانيال**» إلى بيت المقدس عام ١١٠٤م، والذي كان رئيساً لأحد الأديرة في روسيا الجنوبية، وكتب عن تلك الرحلة كتاباً.[٤]

٣- **رحلة المستشرق والرحالة الروسي** «**دوبرفيين**» إلى القسطنطينية، والتي كتب فيها عن أبرز معالم الحضارة البيزنطينية.[٥]

---

(١) فيلنشيك: مستشرق روسي، ولد سنة ١٩٠٢م، أصيب بالصمم في الحرب العالمية الأولى، كان أستاذاً في جامعة لينجراد، اهتم بدراسة اللهجات في العالم الإسلامي، توفي سنة ١٩٤١م. انظر: العقيقي. المستشرقون. ج٣. ص١٠٥.
(٢) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٦١-٨١.
(٣) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٥٧.
(٤) انظر: د. ميثم الجنابي. الاستشراق والاستعراب الروسي. ص٢٧.
(٥) انظر: د. ميثم الجنابي. مرجع سابق. ص٢٧.

٤- **رحلة المستشرق والرحالة الروسي «فاسيلي بارسكي»** والتي زار من خلالها فلسطين، ومصر، وسوريا، وكتب عن القدس وسيناء، وكانت مدة هذه الرحلة ثمانية أشهر، وألف كتاباً وصف فيه رحلته تلك، وتحدث عن العادات والتقاليد لأهل تلك البلدان، ووصف في تلك الرحلة الآثار الرومانية في الإسكندرية وفي بلاد الأردن، وقد لاقى كتابه هذا رواجاً عند الروس، حتى أنه تمت إعادة طباعته ست مرات لكثرة الطلب عليه من القراء الروس.(١)

٥- **رحلة الرحالة والراهب الروسي «ميليتي»** والذي قام برحلة إلى بلدان الشرق الإسلامي والتي توجد فيها نصرانية أرثوذكسية، فزار القسطنطينية، وبلاد الشام ما بين عامي ١٧٩٣-١٧٩٤م، واهتم بدراسة العلاقات بين نصارى الشرق.(٢)

٦- **رحلة المستشرق الروسي «سينكوفسكي»** والذي تجول في بلدان العالم العربي، وتعلم العربية في مدينة «صور» اللبنانية، من خلال إحدى مدارس الإرساليات التنصيرية، وزار القاهرة وصعيد مصر، وكتب عن تاريخ وجغرافية تلك البلدان التي زارها.(٣)

٧- **رحلة المستشرق الروسي «جيخاجيف»** والذي قام عام ١٨٣٠م بزيارة إلى مصر وسوريا، وليبيا، وأقام في إسطنبول ما بين ١٨٢٤-١٨٣٦م، واهتم بالكتابة عن المعادن في آسيا الصغرى بحكم عمله في قسم التعدين بوزارة المالية الروسية، ودرس التركيب الجيولوجي لآسيا الصغرى، والتربة، والمناخ، ودرس النباتات، والحيوانات الموجودة على أرضها، وكتب عن شعوب تلك المنطقة، وتاريخهم، وأحوالهم الاجتماعية، والثقافية.(٤)

---

(١) انظر: د. مكارم الغمري. مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. ص٤١-٤٢.

(٢) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٥٩.

(٣) انظر: د. مكارم الغمري. مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. ص٣٩-٤٠.

(٤) انظر: د. الساموك. الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". ص٥٩-٦٠.

هذه أبرز الرحلات التي جال فيها المستشرقون الروس بلدان المشرق الإسلامي وكتبوا عنها، وهي تؤكد مدى اهتمام الاستشراق الروسي بالمشرق الإسلامي، ومحاولة فهمه، والتعمق داخله؛ ليسهل عليهم دراسته والدخول إلى تفاصيل أحواله السياسية، والاقتصادية، والدينية، والاجتماعية.

**

الخاتمة

نتائج البحث:

بعد قراءتي الواسعة عن الاستشراق الروسي، ومعايشتي الكتابة حوله، بانت لي نتائج ظهرت من هذه الكتابة ألخصها فيما يأتي:

١- أن المدرسة الاستشراقية الروسية لا تزال مدرسة مغمورة إعلاميًّا وكتابيًّا مقارنة بمدارس الاستشراق الغربية، فلم تحظ هذه المدرسة ولا أعلامها إلا بدراسات قليلة ومحدودة.

٢- أن المدرسة الاستشراقية الروسية ركزت على الجانب الأدبي في دراستها أكثر من تركيزها على الجانب العقدي والفكري عند المسلمين؛ وذلك لأنها مدرسة شيوعية لا تعترف بالدين.

٣- أن روح التعصب ضد المسلمين عند المستشرقين الروس أقل حدة مما هو موجود لدى المستشرقين الغربيين، وهذه النتيجة بانت لي من خلال كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين.

٤- أن التواصل التاريخي بين المسلمين وبين الروس قديم جدًّا بسبب فتح بلاد المسلمين للمناطق المتاخمة لبلاد الروس منذ صدر الإسلام الأول.

٥- ركزت المدرسة الاستشراقية الروسية على دراسة الفرق الثائرة في التاريخ الإسلامي، من إسماعيلية، وفاطمية، وبهائية، وكذلك ركزت على الشخصيات الثورية مثل: بابك الخرمي، وهذا يتماشى مع الفكر الشيوعي الثوري، الذي يقوم على الثورة على الأديان، وعلى المجتمعات الطبقية بزعمه.

التوصيات:

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث، واستيعاب وفهم المدرسة الروسية الاستشراقية، يوصي الباحث بهذه التوصيات:

١- التركيز في الدراسات الاستشراقية المعاصرة داخل الجامعات الإسلامية على دراسة هذه المدرسة، لأنها مدرسة مغمورة دراسيًّا، وبحثيًّا في جامعاتنا ومنتدياتنا الفكرية.

٢- تسهيل الصعوبات التي تواجه دارس تلك المدرسة، وذلك بتعليم المختصين في تلك الدراسات اللغة الروسية؛ لتيسير التواصل مع مؤلفات هذه المدرسة، وأعلامها المعاصرين.

٣- وجوب التواصل المعرفي بين أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الإسلامية، وبين أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الروسية.

٤- السماح للأساتذة في الجامعات الإسلامية بزيارات علمية للجامعات الروسية؛ لبيان وجهة نظر الدين الإسلامي في قضايا مطروحة يكتب حولها هؤلاء المستشرقون الروس.

* *

المصادر والمراجع

- لسان العرب. ابن منظور. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر. ١٩٥٠م.
- أساس البلاغة. جار الله الزمخشري. تحقيق عبد الرحيم محمود. بيروت: دار المعرفة. بدون تاريخ.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. د. محمود زقزوق. سلسلة كتاب الأمة. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.١٤٠٥هـ.
- الاستشراق (المعرفة- السلطة- الإنشاء). إدوارد سعيد. ترجمة كمال أبو ديب. الطبعة الثانية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية. ١٩٨٤م.
- التصوف عند المستشرقين. د. أحمد الشرباصي. القاهرة: مطبعة الأمل. ١٩٦٦م.
- تهذيب اللغة. أبو منصور الأزهري. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة. ١٩٦٤م.
- المستشرقون والبلاغة: كراتشوفسكي نموذجاً. د. إبراهيم عبدالفتاح رمضان ضمن بحوث مؤتمر الاستشراق ما له وما عليه. جامعة القصيم. ١٤٣٨هـ.
- الاستشراق الروسي "دراسة تاريخية شاملة". د. الساموك ط١. الأردن: عمان. دار المناهج. ٢٠٠٣م.
- الاستشراق وجه الاستعمار الفكري. د. عبد المتعال الجبري. القاهرة. مطبعة وهبة.
- الاستشراق الروسي مدخل إلى تاريخ الدراسات العربية والإسلامية في روسيا.ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ٢٠٠٢م.
- الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. د. عدنان وزان. د. عبدالرحيم العطاوي مكة المكرمة. رابطة العالم الإسلامي (سلسلة دعوة الحق). ١٤٠٤هـ.

- مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي. د. مكارم الغمري. الكويت. سلسلة عالم المعرفة. ١٩٩١م.
- الاستشراق والاستعراب الروسي والمرحلة التأسيسية. د. ميثم الجنابي كندا. ط١. تورنتو. المركز الأكاديمي للبحوث. ط١. ٢٠١٩م.
- الدراسات العربية الإسلامية الألمانية. رودي بارت. ترجمة د. مصطفى ماهر. القاهرة: دار الكتاب العربي.١٩٦٧م
- الدراسات العربية والإسلامية في أوربا. د. ميشال جحا. ط١. بيروت: معهد الإنماء العربي.ط١. ١٩٨٢م.
- الأعلام. ط١ ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.١٩٧٩م.
- الصحاح. إسماعيل الجوهري. القاهرة : دار الكتاب العربي. مصر. ١٩٥٦م.
- الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية. د. ساسي سالم الحاج. ط١. مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي. ١٩٩١م.
- فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. أحمد سمايلوفتش.. القاهرة: دار الفكر العربي.١٤١٨هـ.
- في الغزو الفكري (المفهوم – الوسائل – المحاولات). نذير حمدان .الطائف: مكتبة الصديق(بدون تاريخ).
- القاموس المحيط . الفيروزآبادي.. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ١٤٢٠هـ.
- حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي. كراتشكوفسكي. ترجمة كلثوم عودة. ط٢. القاهرة. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- الاستشراق الروسي. محمد أسد شهاب. مجلة الأمة. الدوحة: قطر. العدد ٢٠- السنة الثانية.
- المستشرقون ومشكلات الحضارة. د. عفاف صبرة. دار النهضة العربية. القاهرة. ١٩٨٥م.
- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة. ١٩٦٠م.

- معجم متن اللغة. الشيخ أحمد رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة. ١٩٥٨م.
- المفصل في تاريخ الأدب العربي. أحمد الإسكندري وآخرون. القاهرة: مطبعة مصر. ١٩٣٤م.
- مقدمة في علم الاستغراب. د. حسن حنفي.. القاهرة: الدار الفنية. ١٩٩١م.
- الموسوعة العربية الميسرة. القاهرة: دار الشعب.
- المستشرقون. نجيب العقيقي. ط٤. القاهرة: دار المعارف.١٩٨٠م.

* * *